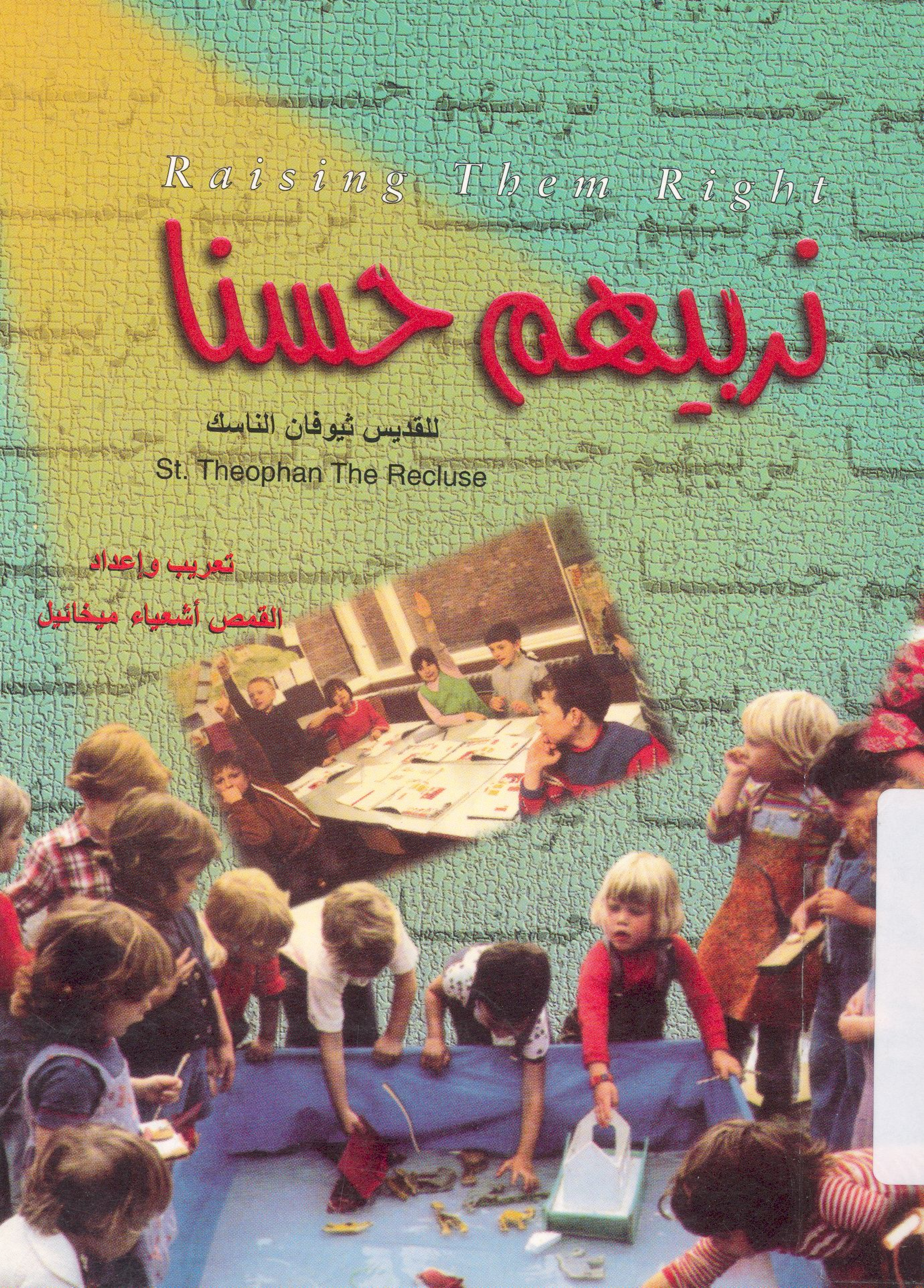

Raising Them Right
نربيهم حسنا
للقديس ثيوفان الناسك
St. Theophan The Recluse
تعريب وإعداد
القمص أشعياء ميخائيل

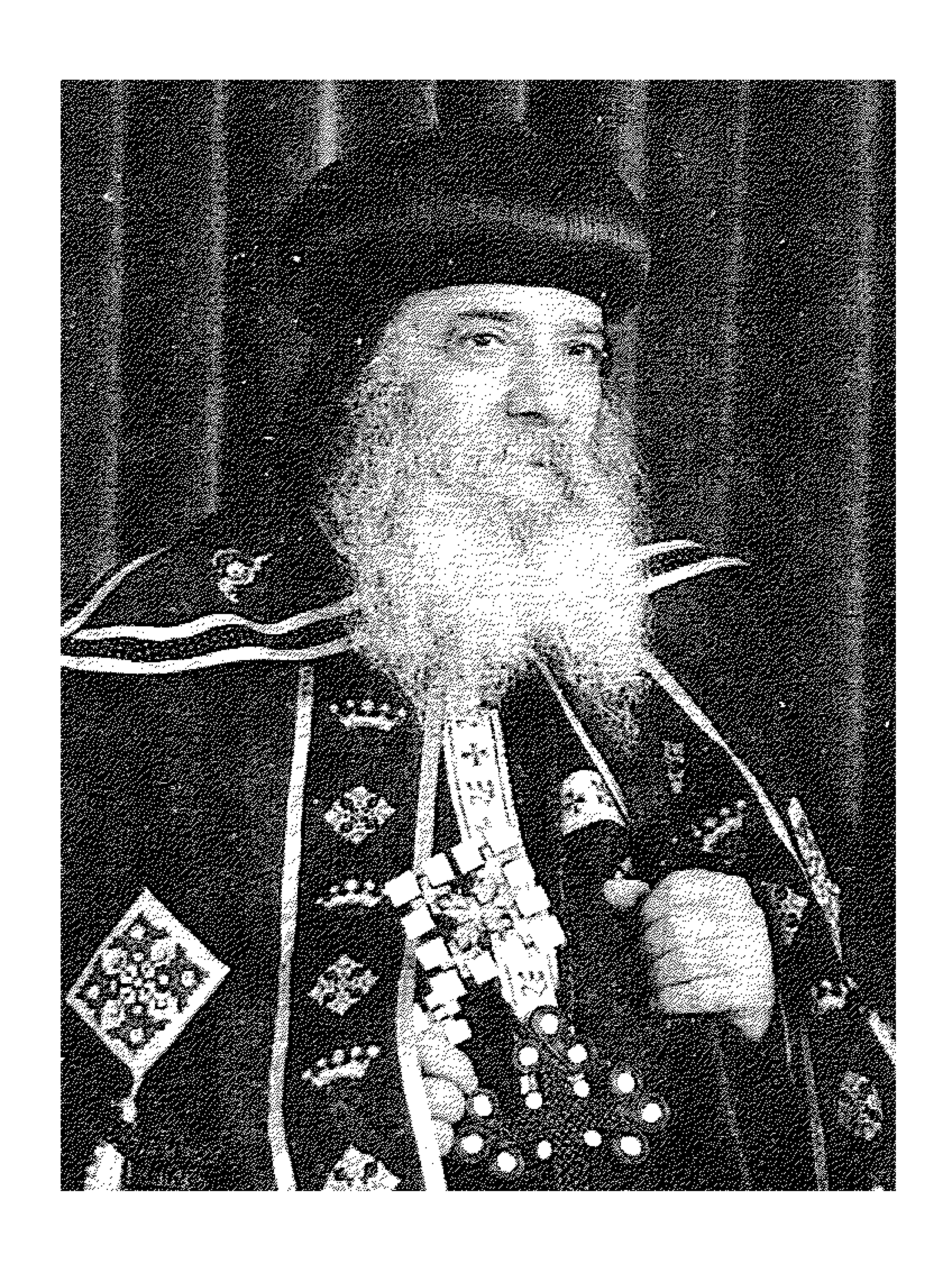
Raising Them Right

نربيهم حسناً

للقديس ثيوفان الناسك

St. Theophan The Recluse

اسم الكتاب : Raising Them Right
«نربيهم حسناً»
اسم المؤلف : القديس ثيوفان الناسك
St. Theophan The Recluse
تعريب وإعداد : القمص أشعياء ميخائيل
المطبعة : دير مارمينا - مريوط
رقم الإيداع : ١٤٥٧٢ / ٩٧
الطبعة : الأولى يناير ١٩٩٨
الترقيم الدولى : 8 - 4957 - 19 - 977



صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

إهــداء ...

إلى حفيدتنا المباركة Miriam – ميريام

التى تبــاركت بأربعــة أســرار من أســرار الكنيسة الأرثوذكسية خلال الأسبوع الأول من ولادتهــا، فكانـت هذه الأسـرار سـبب حياة وميلاد جديد لها .

أقدم هذا الكتاب لوالديها - بيتر وداليا - ليسـاعدهما الرب على تنشـئتهـا النشأة المسيحية السليمة .

الفهرس

✝

تقديم كتاب
«نربيهم حسنا»

فصول هذا الكتاب هى جزء من كتاب «الطريق للخلاص» للقديس ثيوفان الناسك[1] ولكنه صدر باللغة الإنجليزية ككتاب مشتمل كى يكون التركيز على كيفية التربية المسيحية الناجحة.

المؤلف هو القديس ثيوفان الناسك. دارس وعابد وملهم من الله لكشف المرض وتقديم العلاج. ولقد فكرت فى شرح المبادئ التربوية التى تناولها هذا الكتاب ولكننى خفت لئلا أضيع روعة وجمال ودقة التعبير الذى يقدمه لنا القديس ثيوفان الناسك.

١- جارى ترجمته لطباعته قريباً بإذن الله.

لقد وضع هدفاً للتربية المسيحية وهو إعداد الطفل منذ لحظة ولادته ليكون إنساناً مسيحياً معداً للملكوت، وكل ماعدا ذلك فهو أهداف وأعمال ثانوية. وهو فى ذلك يقدم لنا خطوات عملية فى كيفية التربية المسيحية سواء من الوالدين أو من الكنيسة أو من المدرسة.

إن الروح القدس هو الذى كشف للقديس ثيوفان الناسك أمراض العصر وكيف تحول الهدف الرئيسى إلى ثانوى والثانوى إلى رئيسى ولذلك فهو يضع أصبعه على سبب الداء ويقدم فى نفس الوقت الدواء والعلاج.

إنه يتحدث عن ضرورة وجود الوعى والإدراك لدى الوالدين. كما أنه يشير بإستمرار إلى قوة وفاعلية أسرار الكنيسة وخصوصاً المعمودية والتناول والتوبة. وهو يقدم لنا الطريقة والوسيلة التى نسلكها لكى نحافظ للطفل على ما أخذه من النعمة فى المعمودية،

حتى تنمو بذرة الحياة فى داخله ويتدرب على ممارسة الفضيلة منذ نعومة أظافره.

وحين تحدث ثيوفان الناسك عن مرحلة الشباب فإنه قدم مرض العصر وإنحراف الشباب بسبب عدم الإعداد لهذه المرحلة منذ الطفولة، ولكنه لم يتركنا بلا علاج بل قدم ما يساعد شبابنا على تصحيح المسار بنعمة الرب.

ولقد تحدث عن النضج وكيفية السلوك وهو يركز على دور الأب الروحى والمرشد وخصوصاً لو كان هذا الإنسان قد تدرب على الطاعة للوالدين منذ الصغر.

كم نحتاج لقراءة هذا الكتاب بنوع من التركيز الشديد وذلك حتى يمكن تطبيق ما جاء به من قواعد وخطوات عملية.

إنه كتاب روحى تربوى. أو تربوى روحى لأنه مزج التربية بالروحانية ووضع لنا منهجاً كاملاً فى التربية.

وهو يتحدث عن مراحل فى حياة الإنسان، ولكنه لم يتحدث عن سنوات وعمر بل تحدث عن صفات كل مرحلة بغير تحديد للسن الخاص بها. ولقد فكرت فى ذلك طويلاً، فوجدت أنه تحدث بإلهام إلهى لأن مراحل العمر قد تغيرت فى هذا الجيل وأصبح ما كان يحارب الشاب يحارب الصبى الصغير الآن. وما كان يستريح منه الرجل الذى عبر مرحلة الشباب أصبح يحارب ويسقط فيه الآن. ولذلك نرى ثيوفان الناسك لا يتحدث عن عمر بقدر ما يتحدث عن سمات!!

ولا يمكن أبداً أن ننسى دور الأمهات والجدات فى روسيا لإعداد آلاف بل ملايين من الأطفال إعداداً روحياً، رغم القوانين التى كانت تمنع العبادة والصلاة فى الكنائس. ولما سمحت الدولة الروسية بفتح الكنائس والعبادة والصلاة، إكتشفوا أن هناك ملايين من الأطفال تم عمادهم وإعدادهم وتربيتهم التربية

السليمة والحسنة مع الفضيلة، والفضل كله للأمهات والجدات. ولقد حياهن قداسة البابا شنوده الثالث - البابا الكارز - حين ذهب لزيارة الكنيسة الروسية بمناسبة الإحتفال بمرور ألف عام على الكنيسة الروسية.

ولا يفوتنى أن أشكر إبنتنا الدكتورة چيهان رمزى على المجهود الطيب الذى بذلته معنا فى المساعدة فى الترجمة.

إننى أضع هذا الكتاب بين يدى الله لكى يرافقه بنعمة خاصة ليكون سبب بركة لكل أب وكل أم وكل خادم وكل كاهن. ولترافق هذه البركة كل طفل وكل صبى وكل شاب وكل رجل لكى نقدم للرب شعباً مستعداً.

ببركة العذراء القديسة مريم ورئيس الملائكة الجليل ميخائيل وببركة صلوات وتشجيع البابا المعلم غبطة

قداسة البابا شنوده الثالث الذى يقود القطيع ويرعى النفوس لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً، ونحن دائماً نطلب من الرب أن يديم لنا حياته سنين كثيرة وأزمنة سالمة هادئة.

١٤ بابــه ١٧١٤
٢٤ أكتوبر ١٩٩٧

القمص
أشعياء ميخائيل

مقدمة

من النادر جداً أن تعثر على كتاب من الماضى البعيد وتشعر وأنت تقرأه أنه تعدى حدود الزمن وأن رسالته تصلح لزمننا هذا أكثر من الكتب الحديثة الصدور.

من أمثلة هذهِ الكتب مثلاً سفر الأمثال فى العهد القديم وأيضاً كتاب (سلم السماء) الذى كتبه القديس يوحنا الدرجى فى القرن السادس الميلادى.

والآن أشعر أننى وجدت كتاباً آخر له نفس الصفة وهى دوام وإستمرارية رسالته التى يوجهها لنا.

فمنذ سنين كثيرة مضت كتب راهب يدعى ثيوفان والذى نعرفه جيداً من خلال ما كتبه عن الصلاة والحروب الروحية - كتب هذا الراهب كتاباً علمياً

عنوانه (طريق الخلاص)، ويعتبر هذا الكتاب تجميعاً لتعاليم القديس ثيوفان عن النمو الروحى فى الحياة المسيحية . وتضمن هذا الكتاب جزءاً رائعاً عن (كيف نربى الأطفال حسناً ليصبحوا تلاميذاً لربنا يسوع المسيح وليكونوا حاملى مشاعل مقدسة فى كنيسته المقدسة). ومن خلال جهود - لورانس وويليامز - تم وضع ترجمة لهذا الجزء من كتاب (طريق الخلاص). وتم طبعه فى صورة كتاب مستقل فى أول الثمانينات.

وحديثاً تم طبع الكتاب مع إضافة بعض الفواصل بين أجزائه المختلفة وبعض العناوين الصغيرة وأيضاً تم وضع مقدمة له. وصدر الكتاب بالعنوان التالى (كيف نربيهم حسناً).

وهناك شيئان عجبت لهما لدى قراءتى لذلك الكتاب. أولهما أنه يعطينا حكمة أورثوذكسية عملية، وتوجيهات عملية عن تربية الأطفال فى

المسيح. وثانيهما - ولست واثقاً من أننا نستطيع الإجابة عنه - هو كيف تأتى لراهب ناسك مثل القديس ثيوفان الناسك أن تكون له هذه المعرفة الواسعة عن الحياة الأسرية فى تربية الأطفال؟

إنى أعتقد أن كتاب (كيف نربيهم حسناً) هو تنبؤات لعصرنا هذا. فالرسالة التى يتضمنها الكتاب هى نسمة أمل تنتظر الأباء والأمهات وأيضاً الرعاة فى الكنيسة. أتمنى أن يساعد هذا الكتاب على تشكيل وتكوين آلاف لا تحصى من الأطفال - ونحن أيضاً الكبار - يقودنا لأن نكون على شبه الله ومثاله.

الأب

بيتر جيل كويست

حيـاة
القديس ثيوفان الناسك

ولد ثيـوفـان الناسك عـام (١٨١٥م). بالقـرب من (أورلوف) في وسط المقاطعة الروسيـة (ڤيـاتكا). وقد كـان إسـمه (چورچ ڤـاسيليـڤيـتش چوڤـوروف). وكـان والده كـاهناً بـالإيبارشـيـة. وكـانت والدته تـقيـة وورعـة. وعندما أنـهى دراسته بالمدرسة الإكليريكيـة. أُرسل إلى مـعـهد اللاهوت ليـتدرب عـلى الكهنوت. وكـان دارسـاً ألمعياً (شديد الذكاء) ودائماً ما يكون أول مجموعته.

وحـتـى خـلال هذه المرحلة من حـيـاته كـان مـدرسـوه يصفـونه بأنه (يميـل إلى الوحدة والصمت ورقـيق الحس) وبعدما أنهى الدراسة بمعهد اللاهوت درس أربع سنوات في أكـاديمـيـة اللاهوت "بكـيـيف" ووقـتـهـا زار الكهـوف

التى شهدت مجد الرهبنة الروسية وهناك إكتسب آخر إنطباعاته عن حياة الرهبنة.

وبعد ما أنهى ثيوفان دراسته فى أكاديمية اللاهوت نذر نفسه للرهبنة وتم رسمه كاهناً. وساعدته دراسته الأكاديمية الواسعة على أن يتقدم سريعاً. ففى عام ١٨٤١م. أصبح مديراً لمدرسة اللاهوت فى كييف ثم أصبح أستاذاً بأكاديمية القديس بطرس الإكليريكية. وفى النهاية أصبح عميداً لكلية اللاهوت فى (أولنتز) فى ١٨٥٧م.

وفى عام ١٨٤٧م. أرسل ثيوفان للخدمة لمدة سبعة أعوام فى فلسطين والشرق الأوسط كعضو فى البعثة الأرثوذكسية بالأراضى المقدسة. وخلال هذه الفترة تعلم اليونانية. ومن خلال قراءته فى الكتب الروحية العديدة التى وجدها فى مكتبات الشرق الأوسط أصبح لديه

الكثير من سير الآباء. وتعكس كتابات ثيوفان الأخيرة معرفته العميقة بحياة الآباء وأقوالهم.

وفى يونيو من عام ١٨٥٩م. رُسم ثيوفان أسقفاً وخدم لمدة سبع سنين فى (بحر تامبوف) ثم إنتقل إلى أسقفية ڤلاديمير. وبعد عامين من رسامته تنيح القديس (ثيخون) فى بلدة (زادونسك).

وقد كان الأسقف ثيوفان منذ طفولته يكن حباً عظيماً للقديس ثيخون ومنذلك الوقت وهو يحاكى (نموذج) القديس ثيخون فى الزهد والتقشف.

وبالرغم من كونه أسقفاً رقيق الحس وواعظاً قوياً إلا أن الأسقف ثيوفان نما لديه زهد متزايد من الخدمة العامة. وكان يفضل حياة الصلاة والوحدة. وفى عام ١٨٦٦م إنسحب من خدمته النشطة فى حقل الأسقفية وأنهى خدمته فى كاتدرائية ڤلاديمير وإنعزل فى دير

بعيد قابع فى غابات «ڤيسن» الشاسعة. وهناك أصبح عليه أن يظل فى حياة التوحد هذه إلى حين وفاته بعد ثمانية وعشرين عاماً من ذلك التاريخ (عام ١٨٩٤م).

وأصبح ثيوفان رئيساً للدير. ولمدة ستة أعوام من حياته بالدير أخذ على عاتقه كثيراً من خدمات الدير المختلفة. وبدءاً من عام ١٨٧٢م. أصبح ثيوفان متوحداً. وظل متوحداً تماماً لا يخرج أبداً خارج قلايته ولا ينظر أى إنسان سوى أب إعترافه ورئيس الدير. وكانت حياته توحداً تاماً. وكناسك بقية أيام حياته. فقد نذر ثيوفان نفسه للصلاة والتقشف والكتابة.

وكانت سيرته الذاتية مذهلة. فقد كانت وجبته اليومية تتكون من أساسيات الخبز فقط مثل بعض الشاى وقطع صغيرة من الخبز. وهو ما يكفى ليحتفظ بصحته وحياته.

وكانت قلايته تتكون من حجرتين خاليتين من

الأثاث. وخلال سنوات حياته الأخيرة كان يقوم بخدمة القداس الإلهى يومياً فى كنيسته الخاصة وحده دون أن يحضر أحداً معه.

وكان دائم الصلاة الربانية وكذلك (صلاة يسوع) ودائماً يحاول أن يتقن صلاة العقل فى القلب.

وبالإضافة لممارسات الزهد والتقشف التى كان يقوم بها فإنه كان يقضى الساعات كل يوم (خلال الرسائل التى تصل إليه) ليرشد الناس من جميع أنحاء روسيا وكان يتلقى من عشرين إلى أربعين خطاباً يومياً ويرد عليها كلها بإهتمام بالغ وهكذا فإنه لم يلتق وجهاً لوجه بالشعب الذى كان يرشده ولكنه كان يرشد تلاميذه من خلال الرسائل.

وقد إكتسب ثيوفان من هذه المراسلات معرفةً وفهماً للمشكلات العائلية التى كان من الصعب إكتسابها

خلال حياة التوحد التى عاشها . وكانت نصائحه وإرشاده بخصوص الحياة العائلية تأخذ طابع النبوات.

ومعظم إرشاداته هذه قد حُفظت وتم طبعها فى عشرة أجزاء. وقد أخذت معظم أفكار الكتاب الروحى الروسى الشهير (حياة الصلاة) من إرشادات القديس ثيوفان الناسك.

وقد ضم القديس ثيوفان إلى قلايته هذه مكتبة كبيرة من الكتب الروحية إبتداء من الآباء الأولين إلى اللاهوت المعاصر وفلسفته.

وكانت أفكار وروح الآباء الأولين تملأ أفكاره وكتاباته. وقد قضى وقتاً طويلاً يترجم الكتب الروحية المختلفة إلى اللغة الروسية لتكون فى متناول الشعب الروسى لقراءتها. ولم يعمل فقط فى مجال الترجمة بل لقد كتب الكثير من الكتب عن الزهد والتقشف.

ومن كتبه التى لها أهمية خاصة تلك التى تتعلق بأهمية صلاة يسوع وصلاة القلب. وقد كتب عن علم اللاهوت والعقيدة بطريقة بسيطة مبسطة يستطيع أن يفهمها من كان حظه متواضعاً فى التعليم. كما كتب تفسيراً لرسائل بولس الرسول.

ولسنين عديدة وبعد أن رأى الشعب فى روسيا وأيضاً فى مناطق أخرى متفرقة فى العالم، إن كتابات القديس ثيوفان بدأت تشتهر، رأى الشعب فى القديس ثيوفان إنساناً مملوءاً بالروح القدس ونوراً يضئ فى جنبات الحياة الروحية لكل شخص.

وحديثاً فقط - أخذ القديس ثيوفان وضعه المرموق وكرامته اللائقة فى الكنيسة الروسية، وذلك من خلال قرار الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فى ٦ يونيو ١٩٨٨م.. وفيه تم الإعتراف بالقديس الأسقف ثيوفان

مع ثمانية آخرون من الآباء الأرثوذكس الروسيين قديسين فى الكنيسة الروسية.

لعل سيرة القديس ثيوفان أن تكون قدوة لنا جميعاً.

آمين

الفصل الأول

المعمودية

أولاً : كيف تبدأ الحياة المسيحية بسر المعمودية.

ثانياً: معمودية الأطفال الرضع (المولودين حديثاً).

ثالثاً: دور الأب والأم والخدام.

رابعاً: الهدف من معموديتنا (الطفل فى المهد).

✝

الفصل الأول

المعمودية

دعونا ننتقل الآن للخبرة الروحيةلنرى متى يصل الإنسان لمرحلة الرضا عن النفس، فعندما يكون الإنسان فى ظروف هادئة ولا يوجد أى شئ يعكر صفو حياته ولا يوجد أى حافز يدفعه للخطأ أو لإرتكاب الخطية وقتها يكون الإنسان مستعداً لكل شئ مقدس وللحياة النقية التى يسلكها مع الله. ولكن بمجرد أن تهب عليه رياح الرغبات والشهوات ينسى كل الوعودوالعهود مع الله. ألا يقول الإنسان لنفسه وقتها (إلى متى سوف أستمر فى هذه الحالة؟) ولكن ما أن تهيج عليه الرغبات والشهوات ثانية حتى يجد الإنسان نفسه فى الخطايا مرة أخرى.

الوحل: الثقة بالنفس:

أغلب الناس يجنح نحو الفضيلة والخير ويمتنع عن الخطايا عندما يكون كل شئ يسير حسب إرادتنا ولا يتعارض مع حبنا لأنفسنا. وفى هذه الحالة يكون من المستغرب أن يعترى الإنسان إحساساً بالخطية أو الغضب. ولكن بمجرد أن ينعكس الوضع ستجد نفسك تنجرف تماماً لتقف فى صف نفسك وتبرر لها كل شئ.

وهكذا فأنت تستطيع أن تحلم بحياة مسيحية وتثق بنفسك تماماً أنك تستطيع أن تحياها بدون أى معونة من فوق طالما أن نفسك هادئة مستكينة. ولكن عندما يستيقظ الشيطان الراقد فى أعماق القلب مثل غبار العاصفة وقتها سوف تحكم جيداً على غطرستك فى إعتقادك هذا وثقتك بنفسك.

فعندما يهيج عليك الفكر تلو الآخر والرغبة والشهوة تلو الأخرى وهى تزداد شدة وسوءا وقتها

سـوف تضطرب نفـسك، وقـتـهـا ينسى الإنسـان نفـسـه ويصـرخ مع النبى القـائل: "خلصنى يا الله لأن المياه قد دخلت الى نفسى. غرقت فى حمأة عميقة وليس مقر. دخلت الى أعماق المياه والسيل غمرنى" مز ٦٩: ١-٢. "آه يارب خلص. آه يارب أنقذ" مز ١١٨: ٢٥.

وغالباً ما تجرى الأمور هكذا: يتصور الإنسان بأن يظل فى الفضيلة والخير دائماً ويثق بنفسه وقدرته على عمل هذا الخير، ولكن يخطر شئ على باله أو مخيلته فتولد الرغبة والشهوة وتستيقظ الرغبات عنده فينجذب إليها الإنسان ويسقط، ثم ينظر الإنسان لنفسه ويقول «ما أسوأ الأمور هكذا» ثم تتولد لديه الرغبة فى حياة اللهو ثم مرة أخرى يكون مستعداً لأن ينسى نفسه ويحيا فى الخطية.

ومرة أخرى وعندما يخطئ شخص إليك أو تبدأ معركة بينك وبينه فهناك حكم تصدره عليه. فتحكم

بعقلك حسب نظرتك العالمية للأمور؟ فتحقر من شأن هذا الشخص وربما يمتد حكمك هذا فيشمل أشخاصاً آخرين أيضاً وتتداخل الأمور بالنسبة لك. كل هذا يحدث بينما أنت قد وثقت بقدرتك على أن تحيا فى القداسة بقدرتك الذاتية وبدون أى معونة خاصة تأتيك من فوق.

فأين قوتك الآن؟ "أما الروح فنشيط. وأما الجسد فضعيف" مت ٢٦:٤١.

"لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل" رو ٧:١٩.

هكذا نحن فى عبودية. خلصنا منها أيها الرب.

فمن أقدم الحيل التى يحاربنا بها العدو هى فكرة أن نثق بأنفسنا فقط، وهى حيلة وإن لم نسقط بها إلا أنها على الأقل لا تجعلنا نشعر بإحتياجنا لنعمة الله

التى تعيننا فى حياتنا. حيث يقول لنا العدو «لا تذهب للنور حيث يريدون أن يمدوك بقوة فى حياتك الروحية. أنت هكذا حسن وفى أحسن الأوضاع» وينخدع الإنسان بهذا القول، وفى نفس الوقت فإنه يلقى لنا بحجر آخر وهو إحساسنا بعدم السعادة ويقود أناساً آخرين إلى منحدر آخر مثل حرب الشهوات والرغبات وآخرين ينثر عليهم الزهور أى تسير بهم الحياة فى ظروف مريحة بدون أى مشاكل. فلا يجد الإنسان فرصة لينظر حوله ويرى الوضع على حقيقته فينزلق الإنسان أكثر فأكثر بدون أن يدرك هذا إلى أن يصل إلى أعماق الشيطان نفسه وإلى الجحيم ذاته. أفلا يصير صراخ إلى الإنسان كما إلى آدم الأول يناديه «أين أنت أيها الإنسان؟ إلى أين ذهبت؟» هذا النداء ذاته هو عمل النعمة الذى يجعل الإنسان الخاطئ ينظر إلى نفسه بتمعن لأول مرة.

إذاً إن اردت أن تحيا بطريقة مسيحية سليمه أطلب

نعمة الله. ففى اللحظة التى تهبط فيها النعمة وتتحد بإرادتك ستكون هى لحظة بداية حياتك الروحية والتى ستكون قوية ومتينه وراسخة. ومثمرة جداً.

فأين يجد الإنسان النعمة التى يبدأ بها الحياة الروحية وكيف يصل إليها ؟ إن الإتحاد بالنعمة وإمتزاجها بطبيعتنا البشرية يتم من خلال الأسرار المقدسة. فهنا نطلب عمل الله أو نقدم لله طبيعتنا وهو بنعمته يحولها. فقد سر الله بأن يحط من إفتخارنا بعقلنا بأن جعل قوته مختبئة منذ بداية الحياة فى بعض المواد البسيطة. كيف يحدث هذا. نحن لا نعرف.

ولكن كل المسيحين قد إختبروا أنه ليس هناك طريق آخر لنعمة الله سوى هذا.

ومن الأسرار التى ترتبط ببداية الحياة المسيحية سر

المعمودية، سر التوبة والإعتراف. إذاً فأساس أى حياة مسيحية حقيقية هو المعمودية ثم التوبة والإعتراف بعد ذلك.

أولاً : كيف تبدأ الحياة المسيحية بسر المعمودية؟

إن سر المعمودية هو أول سر فى المسيحية. إنها تجعل الإنسان المسيحى مؤهلاً لإستقبال عطية النعمة خلال باقى الأسرار المقدسة. فبدون المعمودية لا يستطيع الإنسان أن يدخل إلى الحياة المسيحية ويصبح عضوا فى الكنيسة.

فإن الحكمة تجعل الإنسان يبنى بيته على الصخر، ولكن الباب الذى يؤدى إلى هذا البيت هو سر المعمودية. فمن خلال هذا الباب ليس فقط تدخل الناس إلى بيت الله - ولكن على هذا الباب أيضاً يلبسون

ثوب النعمة - ويكتسبون إسماً جديداً وسمة جديدة تغلب على كل كيان الإنسان الذى إعتمد وعن طريقها يبدأ التمييز بين ما هو أرضى وما هو سمائى. "إذاً إن كان أحد فى المسيح يسوع فهو خليقة جديدة" ٢كو١٧:٥. هكذا يعلمنا بولس الرسول. هذا المخلوق الجديد يصير مسيحياً بالمعمودية فالإنسان الذى يخرج من جرن المعمودية يختلف عن الذى دخل فيه. فكما هو الفرق بين النور والظلمة، وبين الحياة والموت هكذا الفرق بين الإنسان قبل المعمودية وبعدها.

وبما أن الإنسان مولود فى الخطية، فإنه قبل المعمودية يختبر فى نفسه كل سموم الخطية بكل ثقلها، فيكون فى حالة دائمة من سخط الله وعدم رضائه عليه وهو بالطبيعة يكون طفل السخط الإلهى والدينونة، فيكون الإنسان مغتراً ومخدوعاً فى أعضائه وقدراته التى يوجهها نحو مضاعفة الخطية،

ويكون تحت تأثير الشيطان المعاشر الذى يعمل فى هذا الطفل بقوة من خلال الخطية التى تخترق هذا الطفل. وكنتيجة لهذا كله فإن هذا الطفل بعد موته يكون مصيره الجحيم حيث يجب أن يتعذب مع رئيسه ومعاونيه وخدامه.

فالمعمودية تخلصنا من كل هذه الشرور، إنها تنزع اللعنة بقوة صليب المسيح وتحولها إلى بركة. فهؤلاء الذين تعمدوا هم أطفال الله أى أولاد الله كما أعطاهم الله بنفسه هذا الحق. إذ يقول الكتاب المقدس "فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً وورثة الله ووارثون مع المسيح" رو٨:١٧.

إن ملكوت السموات يؤول الى الشخص المعمد بنعمة المعمودية نفسها. إنه ينفصل عن إتحاده بالشيطان الذى فقد الآن هيمنته على هذا الشخص المعمد وفقد تحكمه فى هذا الشخص. وبدخوله

الكنيسة التى هى بيت اللاجئين يبتعد الشيطان تماما عن الشخص المعمد وهكذا يجد الإنسان المعمد نفسه فى حصن أمين.

كل هذه المزايا هى مزايا أو مكاسب روحية خارجية. فماذا عن العطايا والتغيرات الداخلية؟ هناك إلتئام للجروح التى سببتها الخطية فى داخل الإنسان. إن قوة النعمة تخترق الإنسان إلى الداخل إلى العمق وهناك تختزن القداسة بكل جمالها.

إنها تعالج الخلل الذى حدث فى التركيب والعلاقة بين قوة الإنسان وأعضائه، ثم هى تحول إتكال الإنسان على نفسه إلى الإتكال على الله وإرضاء الله ونمو الخير والفضيله فى الإنسان.

إذاً فالمعمودية هى إعادة ولادة أو ولادة جديدة للإنسان تجعله فى حالة تجديد كاملة. إن الرسول بولس

يقارن الأشخاص المعمدين بالمخلص القائم من الأموات إنه يذكرنا بأنهم إكتسبوا نفس الطبيعة المضيئة التى لربنا يسوع من خلال قيامته فى المجد "فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن ايضاً فى جدة الحياة" رو٦:٤.

إن التحول الذى يحدث فى حياة الشخص الذى إعتمد يوضحه لنا بولس الرسول الذى يقول فى موضع آخر: "كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام" ٢كو٥:١٥. وأيضاً: "لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التى يحياها فيحياها لله" رو٦:١٠. وأيضاً يقول "فدفنا معه بالمعمودية للموت" رو٦:٤ وأيضاً "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية" رو٦:٦.

وهكذا فإن حياة ونشاط الشخص المعمد تتحول بقوة المعمودية من ذاته والخطية إلى الله والحق (الخير).

إن كلمات بولس الرسول "كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية" رو ٦:٦. متميزه حقاً. وأيضا عندما يقول: "فإن الخطية لن تسودكم" رو٦:١٤. وهذا يوضح لنا أن القوة التى كانت تسيطر على طبيعتنا الساقطة وتجذبنا نحو الخطية لم يعد لها وجود بعد المعمودية إذ ليس لها علينا أى تأثير الآن ولا تسود علينا ولا نخدمها، إلا أنها ما زالت داخلنا إنها تحيا وتعمل ولكنها لا تسود علينا بل تكون الأولوية منذ الآن لنعمة الله وللروح التى تسلم إرادتها لنعمة الله.

إن الديداكى (تعاليم الرسل الإثنى عشر) تشرح لنا قوة المعمودية فتقول إنه قبل المعمودية تخترق الخطية القلب وتعمل النعمة من الخارج أما بعد المعمودية فإن

النعمة هى التى تستقر فى القلب وتحاول الخطية أن تجذبنا من الخارج أى فى أعضاء الجسد ومنها تشن هجماتها المتقطعة. وهذا هو السبب فى أن هناك قلاقل وحروباً ولكن ليس لها السيادة. إن الإنسان يضطرب ويقلق ولكنه لا يسقط (فيلوكاليا ج ٤).

وهكذا فإن الحياة الجديدة تولد فى المعمودية وهنا سوف توجه إهتمامنا نحو كيف تبدأ الحياة المسيحية بالمعمودية فى هؤلاء المعمدين مثل الأطفال مثلاً. فقط كيف تحدث هذا. لأن ها هنا تبدأ الحياة المسيحية بأسلوب خاص ينبع من علاقة النعمة بالحرية.

فنحن نعلم أن النعمة تحل على الرغبة الحرة والنفس التى تنتظرها وتبحث عنها. وبإتحاد النعمة مع الإرادة الحرة تنشأ الحياة الجديدة المعطاه لنا بالنعمة. إذاً هى تعتمد على نعمة الله وعلى إرادة الإنسان ورغبته فى

الحياة الجديدة المقدسة. إن الله يعطى النعمة بالمجان ولكنه يريد أن يطلبها الإنسان ويرغب فى إقتنائها لكى يتحد مع الله بها.

إن هذه الحالة تنطبق على سر التوبة والإعتراف وأيضاً سر المعمودية عند الإنسان البالغ. وهذا واضح. ولكن كيف تنطبق على معمودية الأطفال المولودين حديثا ؟ فإن هؤلاء الأطفال ليس لديهم المنطق ولا الإرادة الحره وبالتالى فلا يستطيعون أن يطبقوا نفس الأساس لبداية حياة مسيحية أى الرغبة فى الإتحاد بالله مع أنه لابد أن يتوفر هنا الأساس لبداية الحياة المسيحية.

فما هى الطريقة التى تبدأ بها الحياة المسيحية فى حالة عماد الأطفال المولودين حديثا ؟

ثانياً : معمودية الأطفال الرضع (المولودين حديثاً)

إن النعمة تحل على نفس الطفل الرضيع الذى يتعمد وتحدث فيه نفس التأثيرات تماماً كأنه إختار أن يعمد ويحيا حياة مسيحية بكامل إرادته.

فإن هذا الطفل الصغير الذى لم يكن يدرك شيئاً ولم يتعمد بمبادرة شخصية منه ففى المستقبل عندما يكبر هذا الطفل ويدرك الأمور حوله سوف يقدم نفسه للحياة مع الله وسوف يتسلم النعمة الموجودة داخله وتعمل فيه وتظهر بركاتها عليه وسوف يكون هذا الإنسان سعيداً بوجود هذه النعمة داخله وسوف يشكر الله على أنه نالها منذ الصغر، وسوف يقر وقتها أنه لو كان له كامل الحرية والإرادة فى صغره وقت العماد لكان له نفس التصرف أى أنه كان يقدم نفسه للعماد

فى الصغر كما فعل به أهله. ولن يكون له إختيار مختلف عما تم له.

ومن أجل هذا الإختيار الحر فى المستقبل عندما يدرك الإنسان جيداً أن يختار الإنسان الحياة مع الله وأن تتحد الإرادة مع النعمة داخل الإنسان - فإن النعمة المقدسة تهب للطفل الرضيع كل شئ حتى بدون تدخل منه لكيما تثمر نفس الثمار التى يمكن أن يقدمها الطفل بطبيعته مع وعد أكيد بأن الرغبة الأساسية للإتحاد بالله والحياة معه سوف تعمل فيه بكل نجاح.

هذا هو العهد الذى يعطيه الأشبين عندما يتعهد أمام الله فى الكنيسة بأن هذا الطفل الرضيع عندما يكبر ويدرك سوف يقدم إرادته الحره - التى هى أساسية لنوال النعمة - فيأخذ الأشبين على عاتقه ضرورة أن يقود الطفل إلى هذه الحالة فى المستقبل أى

أن يقوده إلى إتحاد إرادته وحريته بالنعمة المعطاه له فى المعمودية.

وهكذا خلال المعمودية توضع بذرة الحياة فى المسيح داخل الطفل الرضيع وتبقى فيه وتعمل كقوة مرشدة له. فالحياة الروحية التى يكتسبها الطفل الصغير بنعمة المعمودية تصبح من السمات الدالة على شخصيته عندما يصبح رجلاً وتتجلى فيه فى صورة كاملة وحياة كاملة يحياها بحسب النعمة التى فيه وأيضا بكامل إرادته عندما يدرك ويختار أن يحيا مع الله ويتحد هذا الإختيار بالنعمة المعطاه له فى المعمودية، وفى ذلك الوقت سوف يتسلم هذه النعمة من داخله برغبة صادقة وفرح وشكر.

وحتى هذه اللحظة أيضا فإن الحياة المسيحية تكون مثمرة داخله ولكنها تعمل داخله بدون أن يدركها أى بدون إرادة منه. ليس بعد وقت طويل ولكن منذ لحظة

إدراك الإنسان وإختيارة فإنه ينال الحياة المسيحية ليس بالنعمة المعطاه له خلال المعمودية فقط ولكن بإرادته أيضاً.

ولهذا فهناك فترة - تطول أو تقصر - ما بين المعمودية وبين تقديم الإنسان نفسه بإرادته وإدراكه إلى الله والإتحاد به. فإن الحياة المسيحية التى يحياها الطفل الصغير مع الله بنعمة المعمودية تطول إلى أجل غير محدد يكبر خلالها الطفل ويبلغ وينضج ويصبح عضوا مسيحياً فى الكنيسة المقدسة مع باقى الأعضاء المسيحية تماماً كما كان جنيناً فى بطن أمه ثم نما وأصبح طفلاً.

ثالثاً : دور الأب والأم والخدام:

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز هناك المزيد عن هذه الفكرة، إنه من الضرورى جداً أن نحدد دور كل من

الأهل (الأم والأب) والخدام والمعلمين الذين إئتمنوا عليه من قبل الكنيسة المقدسة ومن قبل الرب تجاه الطفل المعمد.

ومن الطبيعى أن تقف مشكلة هامة جداً أمام الوالدين والخدام بعد معمودية الطفل الصغير وهى كيف يقودون الطفل المعمد فى طريق الله حتى إذا ما كبر وأدرك يستطيع أن يميز القوى الموجودة داخله بنعمة المعمودية التى نالها فى الصغر ويرغب - عن إدراك وإرادة كاملة - فى أن يقتنى هذه النعمة دائماً. وهذا يجعلنا وجها لوجه أمام سؤال مهم عن التربية المسيحية. أو التربية التى تهئ الطريق لثمار نعمة المعمودية والتى تحافظ على دوام هذه النعمة داخل الإنسان.

أهداف التربية المسيحية:

من هنا يتضح لنا أنه كيف يجب على الإنسان أن

يتصرف تجاه الطفل الصغير الذى إعتمد وفى عقله هذه الأهداف.

يجب أن يتذكر الإنسان الفكرة التى ذكرناها آنفاً وهى أن النعمة المعطاه بالمعمودية تغلف القلب كله وتخترقه عندما يكون هناك إستعداد فى الواقع (عمليا) فسوف تكون هناك هبات أخرى للنعمة وسوف يصطبغ الإنسان بكل صفات النعمة الروحية الموجودة داخله وأهمها معونة الله له فى كل حين وبنوته للمسيح والخروج من دائرة الشيطان والنجاة من خطر السقوط فى الهاوية.

ولكن بمجرد أن يقل هذا الإستعداد فى القلب لترك الخطية والإتحاد بالله ففى الحال تبدأ الخطية فى إستمالة القلب. ومن خلال الشيطان تزداد رباطات الخطية وتنسحب معونة الله والبنوة للمسيح. إن النعمة داخل الطفل تُضعف وتخنق الخطية، ولكن الخطية

تستطيع أن تحيا ثانية وتنمو لو قدمنا لها الغذاء والحرية.

وهكذا فإن هؤلاء الذين وضعت عليهم الضرورة بأن يحافظوا على الطفل الذى خرج تواً من جرن المعمودية يجب أن يوجهوا كل إهتمامهم به نحو إبعاد الخطية عنه وعدم السماح للخطية بأن تأخذ مكانها داخل هذا الطفل مرة أخرى أى سحق الخطية وتجريدها من كل قوة.

وفى نفس الوقت إيقاظ إدراك الطفل وتقوية إرتباطه بالله. وعلى المسئولين عن الطفل أن يسلكوا هذا الطريق تجاه الطفل المسيحى الذى ينمو بين أيديهم وتحت إرشادهم حتى يستطيع يوما بعد يوم أن ينتصر على الخطية ويقهرها من أجل إرضاء الله. وسوف ينشأ هذا الطفل على تدريب قواه الروحية والجسديه وتطويعها ليس لتخدم الخطية بل لخدمة الله.

كل هذا ممكن على أساس أن الذى ولد وإعتمد هو بذرة للمستقبل أو هو حقل مملوء بالبذور. فإن الحياة الجديدة التى انضبت داخله بنعمة المعمودية، ليست هى أفكار أو تخيلات بل هى شئ واقعى حقيقى بل إنها بذرة الحياة. وبما أن كل بذرة تنمو وتثمر حسب نوعها، فإن وضعت فى الطفل بذرة الإتجاه لله والإنتصار على الخطية فإنها تستطيع أن تنمو وتتغذى مثل بقية البذور الأخرى. ولكن يجب علينا أن نتعهدها بطريقة صحيحة لكى تؤتى ثمارها فى الطفل المعمد.

رابعاً: الهدف من معموديتنا (الطفل فى المهد).

إن الهدف الذى يجب أن يوجه إليه كل شئ فى المعمودية هو أن هذا الشخص الجديد عندما يصل إلى الإدراك سوف يميز نفسه ليس كمخلوق وإنسان حر فقط

بل أيضا كشخص إتحد بالله وإرتبطت بنويته للله بدون لحظة إنفصال. وقتها سوف يدرك أن كل ثقافته وإهتمامه بل وإنجذابه موجه نحو هذا الهدف.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو كيف يمكن الوصول لهذا ؟ كيف يسلك الإنسان تجاه الطفل المعمد حتى أنه عندما يبلغ ويدرك لا يتمنى شيئاً آخر سوى أن يكون إنساناً مسيحياً بالحقيقة أو بمعنى آخر كيف يستطيع الإنسان أن يقوده فى الطريق المسيحى؟ وللإجابة على هذا السؤال سوف لا نخوض فى تفاصيل صغيرة تستغرقنا، بل سوف نحدد الأمور الأساسية للتربية المسيحية واضعين فى الإختبار أن نوضح كيف أنه فى كل مناسبة يجب أن نشجع ونبرز الجانب الخير فى الأطفال وفى نفس الوقت أن نمحو ونسحق كل شئ شرير.

وفى البداية يجب أن نوجه عنايتنا نحو الطفل فى

المهد قبل أن تنمو فيه أى قدرات أو إمكانيات. هنا نستطيع فقط أن نميز أن الطفل يحيا. هنا يجب أن نقدر تأثير الأسرار المقدسة وأيضا الحياة الكنسية ككل، وفى نفس الوقت الإيمان وطاعة الوالدين. كل هذا معاً يهيئ جو الخلاص للطفل. وعن طريق هذا كله فإن حياة النعمة التى دخلت على الطفل المعمد تظل داخله حية وفعالة بطريقة خفية لا يدركها العقل.

وبممارسة الأسرار المقدسة فى المسيح (بل يجب أن نضيف أنه يجب ممارستها بكثرة علي قدر المستطاع) يتحد هذا العضو الجديد بالرب من خلال أكثر السبل فاعلية وهى جسد الرب ودمه. إن سر التناول يقدس الطفل ويعطيه السلام الداخلى ويجعله بعيداً عن مرمى قوى الظلام. والناس الذين إتبعوا هذه النصيحة لاحظوا بالفعل أنه فى اليوم الذى يتقدم فيه الطفل للتناول من

الأسرار المقدسة، فإنه يقبع فى هدوء تام بدون أى حركات عنيفة أو رغبات حادة حتى مع الأطفال الذين يتميزون بكثرة الحركة العنيفة. وأحيانا ما يغمر الطفل المرح واللهو حتى أنه يكون مستعداً لأن يقبل كل شخص من تلقاء ذاته.

وغالباً ما يصاحب التناول المقدس حدوث بعض المعجزات أيضاً. فالقديس اندراوس[1] فى طفولته كان لا يستطيع أن ينطق أو يتكلم لفترة طويلة، ولكن عندما إتجه والداه الحزينان إلى الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة فإنه فى وقت التناول فك الله بنعمته رباطات لسانه ثم بعد ذلك أعطى الكنيسة درراً من البلاغة والحكمة.

وهناك طبيب إختبر ولاحظ أنه عندما يكون الطفل

١- أحد القديسين فى الكنيسة الروسية.

مريضاً فإنه يجب أن يتناول من الأسرار المقدسة ونادراً جداً ما إحتاج لعلاج طبى بعد ذلك[١].

وهناك تأثير كبير نلمسه فى الطفل عندما نأخذه كثيراً إلى الكنيسة وعندما نجعله يقبل الصليب المقدس والأيقونات والكتاب المقدس، وعندما نلفه بستر الهيكل[٢].

وكذلك عندما نضعه فى المنزل بجانب الأيقونات بإستمرار ونرشمه بإستمرار بعلامة الصليب المقدس ونرشمه بالماء المقدس ونرشم علامة الصليب على فراشه وعلى طعامه وعلى كل شئ يتعلق به. وعندما نأخذ بركة الكاهن فى المنزل. كل هذا يدفئ ويغذى حياة النعمة فى الطفل بطريقة خفية وعجيبة. ودائما ما

١- هذا الأمر يحتاج إلى قدر كاف من الإيمان.

٢- عادة روسية يقابلها هنا تقبيل ستر الهيكل.

تكون هى الطريقة الآمنة لحمايته من هجمات قوى الظلام التى لا ترى التى تسعى دائماً إلى إختراق النفس التى تنمو لكى تؤثر عليها فى نهاية المطاف.

وعلاوة على هذه الحماية الواضحة هناك حماية أخرى للطفل غير محسوسة أو غير مرئية وهى الملاك الحارس الذى يضعه الرب ليحمى الطفل منذ لحظة عماده. إنه يلاحظه وبوجوده معه يحرس الطفل وفى وقت الضرورة فإن الملاك الحارس للطفل يوجه الوالدين لما يجب عمله للطفل إذا ما تعرض للخطر.

ولكن كل هذه الحماية القوية والإرشاد المؤثر والإيجابى يمكن أن يذوب ويصبح عديم الثمر بسبب عدم الإيمان والإهمال وعدم التقوى لدى الوالدين، أو بسبب الحياة الرديئة للوالدين. هذا لأن وسائط النعمةالتى ذكرناها آنفاً لو لم نستخدمها أولو تم إستخدامها بطريقة خاطئة سوف يؤدى إلى عدم جدواها

أو أنهـا تـصـبح بلا ثمـر. هنا يصـبح التـأثيـر الداخلى للوالديـن على الطفل فى غـاية الأهميـة لأنـه هناك رباط لا يستطيع تفسيره بين نفس الوالدين ونفس الطفل ولا نستطيع أن نحدد على وجه الدقـه مدى تأثيرها على الطفل.

وفى نفس الوقت عندما يكون للوالدين تأثيراً سيئاً على الطفل فإنه - إلى حد ما - فإن رحمة الله ولطفه لا تزالان تحلان على الطفل، ولكن فى بعض الأحيان تتوقف هذه المعونة الروحية وحينئذ سوف تذبل ثمار النعمة من الآن فصاعداً، وهكذا تعتبر روح الإيمان والتقوى اللتان يتحلى بها الوالدان هما الدعامتان الأساسيتان للحفاظ على حياة النعمة وتمنيتها وتقويتها لدى الاطفال.



الطفل الذى ينمو

أولاً : الإحتياجات الجسدية للطفل.

ثانياً: التربية المسيحية.

✝

الفصل الثانى

الطفل الذى ينمو

إن روح الطفل الرضيع تعتبر بلا حركة خلال الأيام بل الشهور بل السنين الأولى من مولده. إذ ليس من الممكن أن يتصل بالآخرين ويتفاهم معهم بالطرق المعتادة للتفاهم بين الناس. ولكن الإنسان يستطيع أن يؤثر عليه بطرق أخرى. فهناك طريقة أخرى خاصة للإتصال بين نفس وأخرى من خلال القلب، فالنفس تؤثر فى النفس الأخرى من خلال الإحساس والمشاعر، وسهولة حدوث هذا التأثير على نفس الطفل الرضيع تتوقف على مدى غنى وعمق مشاعر الوالدين نحو الطفل.

مركزية الوالدين:

إن إهتمام الأب والأم بأنفسيهما يتلاشى ويصبح كل التركيز على إسعاد ورفاهية نفس الطفل. ولو كانت روحهما مملوءة بالتقوى فلابد من إنتقال هذا التأثير إلى طفلهما.

وأفضل طريقة خارجية لنقل هذا التأثير هى العيون. فبينما تختفى النفس والروح وراء بقية الحواس إلا أن العيون دائماً ما تنظر وترنو إلى الآخرين. إن العيون هى مكان إجتماع النفس بنفس أخرى. دع الفتحات تستخدم لإنتقال المشاعر المقدسة من نفسى الأب والأم إلى نفس الطفل. إن نفسيهما لا تستطيعان أن تساعده ولكنها تدهن نفس الطفل بذلك الزيت المقدس.

إن نظرة الوالدين للطفل يجب أن تكون مملؤه ليس

فقط بالحب الذى هو بالطبيعة داخلهما ولكن أيضاً بالإيمان بأن الذى بين أيديهما شئ أعظم من مجرد طفل بسيط. يجب أن يكون لدى الوالدين الأمل بأن الذى وهبهما هذا الكنز الذى بين أيديهما من خلال شريان النعمة قادر أيضاً أن يمدهما بالوسائط الكافية لكى يحافظا عليه. وأخيراً ينبغى أن تكون هناك صلاة بلا إنقطاع تنبع من الروح التى إنتعشت بالرجاء والإيمان.

وعندما يقوم الوالدان بحماية طفلهما بهذه الطريقه وبروح التقوى الحقيقية وفى نفس الوقت عندما يقوم الملاك الحارس بحماية الطفل من الناحية الأخرى فإن وسائط النعمة من خلال الأسرار المقدسة والحياة الكنسية كلها تعمل أيضاً فى الطفل. كل هذا يؤثر على الطفل من الخارج والداخل فى نفس الوقت. وكل هذا سوف يحيط حياة الطفل التى بدأت بجو روحى، وهذا بالتالى يكوّن شخصية الطفل تماماً مثل الدم الذى

هو نواة الحياة الجسدية والذى يكتسب الكثير من الصفات من الجو المحيط به.

ويقال أن الوعاء الجديد سوف يحفظ بداخله رائحة الماده التى إنصبت داخله لوقت طويل وربما إلى الأبد مهما كانت تلك المادة التى تم صبها فى ذلك الوقت.

ويمكننا أن نقول نفس الكلام بالنسبة للجو الذى يحيط بالأطفال، إنه يخترق نفس الطفل بطريقة تمنح النعمة وتحافظ على وجودها داخل الطفل وتحافظ ضمنها على حياة النعمة التى بدأت تثبت داخل الطفل، فهذه هى الحماية التى لا يمكن إختراقها بتأثير الأرواح الشريرة.

فكما تبدأ تربية الطفل وحمايته منذ المهد هكذا ينبغى أن تستمر كل مراحل تربية الطفل أى فى مراحل الطفولة والصبا والبلوغ والشباب المبكر. إن الحياة

الكنسية وممارسة الأسرار المقدسة مثل الخيمة التى تظلل الأطفال، فيجب أن يظل الأطفال تحت ظلها ولا يتركوها أبداً.

والأمثلة ترينا مدى نجاح هذه الطريقة فى الحياة الروحية وكيف تحمى الطفل وتكون مثمرة. مثل حياة صموئيل النبى وحياة القديس ثيؤدور وغيرهما، فهؤلاء يمكن أن يقتدى بهم فقد عاشوا حياتهم الناجحة وهى الطريقة المثلى للتربية التى يمكن أن تحل محل الأساليب الأخرى لتربية الأطفال، فالطريقة القديمة للتربية تتمثل فى هذا الأسلوب بالضبط.

وعندما تبدأ قدرات الطفل تصحو واحدة بعد الأخرى حينئذ يجب على الوالدين أن يضاعفا إهتمامهما بالطفل، لأنه فى الوقت الذى يكون فيه الطفل تحت تأثير وسائط النعمة فإن إشتياقة لله سوف ينمو ويزيد داخله ويوجه قدراته نحو هذا الهدف ولكن

- وفى نفس الوقت - فإن الخطيئة التى تحاول النفاذ إليه أيضاً لا تهدأ ولا تنام ولكنها تحارب من أجل أن تمتلك نفس هذه القدرات التى لدى الطفل.

والنتيجة الحتمية لهذا أن تقوم معركة داخلية، وبما أن الأطفال لا يستطيعون أن يقودوا هذه الحرب بأنفسهم، فإن الوالدين يأخذان مكانهما فيها، وبما أن هذه الحرب تتم من خلال قوى الطفل وقدراته فإنه على الوالدين أن يلاحظا ويتحكما تماماً فى البدايات الأولى لإنطلاق هذه القدرات داخل الطفل، لكى يستطيعا منذ اللحظة الأولى توجيه هذه القوى والقدرات أن تكون متفقة مع الهدف الأساسى الذى يجب أن توجه اليه.

هكذا تبدأ المعركة بين الوالدين والخطية التى تحاول النفاذ داخل الطفل، وبالرغم من أن الخطية تخلو من الأسباب التى تثبتها وتدعمها داخل الطفل إلا أنها لا تزال تعمل. ولكى تجد مكاناً تستقر فيه فإنها تحاول أن

تحل محل قوى الطفل الجسدية والروحية لكى تأخذ مكانهما.

فيجب على الإنسان أن لا يسمح بحدوث هذا أبداً، بل أن يعمق هذه القوى ويحفظها بعيداً عن متناول الخطية ومن ثم يوجهها نحو الله.

ويجب أن يتم هذا بوعى كاف - عن مدى فاعلية وسائط النعمة التى يختارها - وأيضاً بوعى كاف عن الأشياء التى تقوى الخطية وتغذيها ويجعلها تحتل مكانها داخلنا.

إن الأشياء الجوهرية التى توقظ نفس الإنسان وتوجهها نحو الخطية هى هذه - حب الإستطلاع لدى العقل (هذا بالنسبة للعقل) والإرادة الذاتية (هذا بالنسبة للإرادة) والمتع الحسية (هذا بالنسبة للإحساس والمشاعر).

وهكذا يجب أن يقود الإنسان القوى والقدرات التى للروح والجسد وهى تنمو ويوجهها بحيث تبتعد عن متع الجسد وحب الإستطلاع وعن الإرادة الذاتية والمتع الذاتية الحسية لئلا يقود ذلك للعبودية للخطية، بل بالعكس يجب علينا أن ندرب الطفل على كيفية الإنفصال عن هذه الأشياء والسيطرة عليها وبقدر المستطاع يجعلها غير مؤثرة وغير ضارة بالنسبة له، هذا هو الشئ الأساسى فى البداية، وبالتدريج فإن عملية التربية سوف توافق هذه البداية.

ودعنا نلقى نظرة - من خلال هذا الهدف - على النشاط الأساسى لكل من الجسد والنفس والروح:-

أولاً: الإحتياجات الجسدية للطفل:

أولاً وقبل كل شئ فإن إحتياجات الجسد تصحو وتستمر فى حالة نشاط إلى أن يدركها الموت. إنها

إحـتـيـاجـات أسـاسـيـة يجب أن نضـعـهـا فى إطارها الصـحـيح. وهذه الأمـور السليـمـة عـادة نسـيـر على منوالها، وهكذا نضمن عدم حدوث إضطرابات بسببها.

١- *الطعـام:*

إن الإحتياج الأول للحياة الجسدية هو الطعام. فمن منطلق الفضيلة والشر يعتبر الطعام هو مصدر الرغبة فى الإستمتاع بالخطية والإستمتاع الجسدى ككل أو هو الساحة التى تنمو فيها الخطية وتتغذى.

وهكذا فـيـمـا نحن نربى الطفل يجب أن نغـذيه بالطريقة التى تغذيه وتقويه صحياً خلال نموه الجسدى ولكنهـا فى نفس الوقت لا تشعل فى نفسه الرغبة فى تلذذ الجسد.

فلا نضع فى أنفسنا أن الطفل لا يزال صـغيراً (أى أنه لا يزال بعيداً عن هذا الإعتقاد). فمنذ السنوات

الأولى من عمر الطفل يجب علينا أن نقوى جسمه الذى يكون مثل المادة الخام الذى نقوم بتدريبه على أن يكون هو سيدها (أى سيد جسده) فعندما يصل للبلوغ والشباب سوف يكون من السهل عليه أن يسيطر على هذا الإحتياج الجسدى.

إن المحاولة الأولى تكون دائماً حساسة. ثم يعتمد الأمر على طريقة تغذية الطفل، فبدون أن نشعر يمكننا أن ننمى داخله حب الإستمتاع بالطعام وعدم الإعتدال فى تناوله أيضاً وهذان هما الوجهان الفعليان لخطية الشراهة، وهما يمثلان التطرف فى تناول الطعام، وهو الشئ الذى يدمر الجسد والروح أيضاً، ومن هنا حتى الأطباء والمعلمين ينصحون بما يلى:-

١- أن نختار الطعام المغذى والمناسب لسن الطفل. لأن الطعام الذى يناسب الرضيع يختلف عن ذلك الذى يناسب الطفل أو الصبى البالغ.

٢- أن نضع نظاماً جيداً لتناول الطعام يتناسب أيضاً مع عمر الطفل وهذا يتضمن مواعيد الطعام وكميته وطريقة تناوله.

٣- عدم تغيير نظام الطعام المعتاد عليه بدون الحاجة لذلك.

فبهذه الطريقة يتدرب الطفل على أن لايطلب الطعام فى كل وقت يشعر فيه بالرغبة فى الطعام بل يجب عليه أن ينتظر الوقت المحدد لتناول طعامه، ومن هنا تبدأ المحاولات الأولى لتدريب النفس على كبح جماح الرغبات.

ولكن إذا تناول الطفل الطعام فى أى وقت فإنه يصرخ ويبكى ويطلب الطعام فى أى وقت وهذا يضعف الطفل لدرجة أنه مستقبلاً لا يستطيع أن يرفض الطعام إلا بصعوبة وألم بالغ.

وفى نفس الوقت فإن هذا يجعل الطفل معتاداً على تلبية كل رغباته لأنه نجح فى أن ينال الذى يطلبه أو الذى يبكى من أجله.

والنوم أيضاً يجب أن يخضع لنفس القياس. وكذلك تدفئة الطفل أو شعوره بالبرد وبقية الأشياء الأخرى التى يتطلبها الطفل لراحته خلال مشوار تربيته. واضعين فى الإعتبار عدم إشعال الرغبة فى الإستمتاع الحسى لدى الطفل وأن يتعود فى نفس الوقت على أن يكبح جماح رغباته.

كل هذا يجب مراعاته بدقه خلال مراحل تربية الطفل. ويمكننا بالطبع أن نعدل ونغير فى هذه القواعد بما يتناسب مع ظروف كل طفل ومع سنه، ولكن يجب أن لا يمس هذا التغيير جوهر القاعدة المتفق عليها. إلى أن تصبح هذه القواعد هى جوهر حياة الطفل بدوام إعتياده وتدريبه عليها:

٢- *الحركة:-*

والخاصية الثانية للجسد هي الحركة. والجزء الذى يقوم بها هو العضلات التى ترتكز فيها قوة وقدرة الجسم أى وسائط التحرر والإنطلاق، فبالنسبة للروح فإن هذا هو مركز الإرادة وبمنتهى السهولة يمكن أن ينشئ الإرادة الذاتية أو مشيئة الذات، وتطور هذه الخاصية ونموها إنما يتسبب فى إثارة الجسد وحيوانيته وتؤدى إلى الإنفلات الدائم.

وعلى العكس فإن نمو خاصية الحركة بطريقة غير سوية أو لوتركناها تسير تبعاً لمشيئة الطفل فإن هذا ينشئ عند بعض الأطفال زيادة فى الحركة وينشئ عند البعض الآخر خمولاً فى الحركة مع عدم حيويته.

ففى الحالة الأولى أى مع زيادة نمو خاصية الحركة، فإن الإرادة الذاتية وعدم الطاعة تصبحان قانون حياة

ذلك الطفل وبجانب هذا تنشأ لدى الطفل صفات العدوانية والغضب مع إنفلات الرغبات.

أما فى الحالة الثانية أى عدم نمو خاصية الحركة بطريقة سوية فإن الطفل يصير منغمساً فى الجسد غارقاً فى المتع الحسية.

إذاً يجب أن نضع فى إعتبارنا أنه مع نمو قدرات الجسم يجب أن لا تنتفخ الإرادة الذاتية للطفل حتى تدمر الروح وينتعش الجسد.

ولكى نحول دون ذلك يجب أن يكون هناك إعتدالاً فى كل شئ ويجب أن يكون هناك جدولاً محدداً ورعاية مستمرة، دع الطفل يلعب ويلهو ولكن على أن يكون ذلك فى المكان السليم وبالطريقة السليمة المناسبة له.

فإن إرادة الوالدين يجب أن تكون مطبوعة على كل خطوة فى مشوار تربية الطفل بصفة عامة. بدون هذا

فإن سلوك الطفل يصبح من السهل أن يختل. فبعد ما يستمتع الطفل بأى شئ طبقاً لرغبته هو فإنه سرعان ما يعود - بدون إرادة منه - ليطيع والديه فى أبسط الأشياء. ولو حدث هذا ولو لمرة واحدة فقط- فلا تسأل عن السبب. وإذا حدث إهمال لهذه الخاصية للجسم - أى الحركة وقتها يكون من الصعب جداً أن نستأصل الإرادة الذاتية من الطفل حيث أنها تثبت بسرعة فى الجسم كما فى بستان خصيب. وقتها لن تنحنى الرقبة كذلك اليدين والرجلين سوف لا تتحرك والعينين لن ترغبا حتى فى أن تنظرا نحو ما يطلب منهما.

وبالعكس فإن الطفل بالطبيعة يكون مستعداً لإطاعة أى نوع من الأوامر والطلبات إذا لم نمنحه منذ بداياته الأولى الحرية الكاملة فى تحركاته، بالإضافة إلى هذا فليس هناك تدريب لكى يسيطر الإنسان على جسده أفضل من أن تدفعه لأن ينفذ كل أمر يوجه إليه.

٣- الحواس:

ثالث خاصية للجسد هى الأعصاب، ومن الأعصاب تنبع الحواس، وهى وسائط للملاحظة والغذاء ويأتى الباقى تباعاً وهنا سوف نتحدث عن الأعصاب ووظيفتها للإحساس فى الجسم وعن قدرتها على إستقبال المؤثرات الخارجية التى ربما تكون غير سارة بالنسبة لها.

ففى هذا الموضوع ينبغى على الإنسان أن يدرب جسده على إحتمال كل أنواع المؤثرات الخارجية بدون تذمر، سواء كانت هذه المؤثرات من الهواء الطلق أو من الماء أو من تغيير درجة الحرارة أو من السخونة أو من البرد أو من الألم أو الجروح وهكذا من أى مصدر.

فأى شخص درب نفسه على إحتمال كل أنواع هذه المؤثرات بدون تذمر فهو أكثر الناس المحظوظين فى الدنيا لأنه يكون قادراً على أن يقوم بأصعب الأعمال

فى أى وقت وفى أى مكان. فالروح فى هذا الإنســان هى التى تقود الجسد. فهو لا يؤجل أى عمل أو يغيره أو يتركه خوفاً من أن يكون مرهقاً أو محزناً له. بل بالعكس فإنه يتحول برغبته إلى الأشياء التى ربما تكون لها خطورة على الجسد، وهذه نقطة هامة عندنا.

فالشيطان الرئيسى للجسد هو محبة الجسد نفسه والشفقه عليه، فإن هذا يفقد الروح كل سيطرة لها على الجسد ويجعل الروح عبدا للجسد، وبالعكس فالإنسان الذى لا يدلل الجسد سوف لا يعانى أى إضطراب فى حياته بسبب حبه الأعمى للحياة، ويكون محظوظاً ذلك الإنسان الذى درب نفسه على هذا منذ الطفولة.

وهنا أيضاً مكان النصيحة الطبية التى تتعلق بإستجمام الطفل ومواعيد وأماكن سيره وملابسه. فالهدف الرئيسى هنا أن لا نجعل الجسد دائماً فى الحالة التى يستقبل فيها المؤثرات التى تسره فقط أو تمتعه،

بل على العكس أن تجعله بالأكثر تحت تأثير الأشياء التى تريكه. فالمؤثرات المتعة تجعل الجسد مرفه أما المؤثرات الغير ممتعة أو المتعبة له فإنها تقوية وتشدده، ففى الحالة الأولى يكون الطفل خائفاً من كل شئ ولكن فى الحالة الأخيرة فإنه يكون مستعداً لكل شئ ويكون لديه الإستعداد لأن يكمل بصبر ما قد بدأه.

ثانياً: التربية المسيحية

فهذا السلوك تجاه الجسد تشرحه علوم تربية الأطفال ولكن هنا سوف نشير فقط إلى هذه الإعتبارات وكيف تفيد فى نمو الحياة المسيحية، لأن تدريب الجسد والسيطرة عليه تحمى الروح من إحتراق سموم الخطية المتمثلة فى المتع الحسية والإرادة الذاتية ومتعة الجسد والشفقة عليه أى تدليله وكل هذا يُكوّن داخل الطفل ميولاً مضادة للحياة الروحية. وفى النهاية فإن السيطرة على الجسد وتدريبه تجعل الطفل هو سيد

جسده وليس خاضعاً له، وهذا هو مهم جداً فى الحياة المسيحية التى هى بطبيعتها بعيدة تماماً عن المادة والمتع الحسية وعن كل شئ يمكن أن يمتع الجسد.

وهكذا ينبغى أن لا نترك عملية نمو جسم الطفل لقرارات عشوائية وغير مدروسة، بل يجب علينا أن نبدأ بتخطيط محكم منذ البدايات الأولى لها إلى أن تسلم ليد الطفل نفسه كعضو تدرب جيداً على الحياة المسيحية وليس كمتطفل عليها.

فهؤلاء الآباء والأمهات المسيحيون الذين يحبون أطفالهم محبة حقيقية صحيحة يجب أن لا يبخلوا بأى شئ حتى بقلوبهم من أجل أن يغرسوا فى أطفالهم هذه المعانى الجميلة، وإلا فإن كل سلوك يتبعونه تجاه أطفالهم رغم أنه ينبع من حبهم لهم سوف يكون ثمره قليلاً أو حتى عديم الثمار.

فالجسد هو مسكن العواطف والمشاعر وخاصة المشاعر الملتهبة مثل الشهوة والغضب، والجسد أيضاً هو الذى بواسطته تخترق الشياطين النفس أو تصل بالقرب منها. وغنى عن البيان أن نقول أنه يجب أن لا يغيب عن حياة الطفل الحياة الكنسية بكل ما فيها من تأثير على الجسد لأنه بهذه الطريقة يتقدس الجسد نفسه ويتكرس للمسيح ومن ثم تتبدل الحياة الحيوانية التى للطفل.

ونحن هنا سوف لا نناقش الموضوع كله بل سوف نشير إلى المؤثرات الرئيسية التى تؤثر على الجسد. والحياة نفسها سوف تعطى بقية التفاصيل لهؤلاء الذين يبحثون عنها، وطبقا لنفس القياس سوف نعرف كيف نتعامل مع الجسد فى كل مراحل الحياة القادمة لأن نفس السؤال قائم داخل كل أحد منا فى أى سن كان.

فبجانب إحتياجات الجسد التى تظهر على الطفل هناك أيضا قدرات النفس التى تعبر عن نفسها بطريقة طبيعية، فإن الطفل يبدأ ينظر إلى جسم معين ويقترب اليه أكثر فأكثر، ثم يبدأ يقرب هذا الشئ إلى عينيه أكثر ويبعد شيئاً آخر وهكذا كما لو كان هناك شئ يسعده أكثر وشئ يسعده بدرجة أقل، وهذا يعتبر البدايات الأولى لتدريب الحواس بعدها مباشرة يستيقظ نشاط الذاكرة والتخيل، وهذه المهارات والقدرات تقف فى مكان وسط بين نشاط الجسد ونشاط النفس، ولكن يعمل الإثنان سوياً حتى أن ما يتم بواسطة أحدهما ينتقل تأثيرة مباشرة إلى الآخر.

ومن الأهمية بمكان أن نكرس هذه البدايات الأولى لتأتى إلى حيز الإيمان، فالإنطباعات الأولى تظل محفورة بعمق فى الذاكرة. فيجب علينا أن نتذكر دائماً أن النفس تأتى إلى هذا العالم مجردة من كل شئ

ثم تنمو وتصبح غنية بمحتوياتها الداخلية وبعد ذلك تكون لها أنشطتها المختلفة. والمادة الأولى أو الغذاء الأول فى تكوينها تتلقاه من الخارج أى من خلال الحواس بالتخيل.

وواضح لنا الآن ما هى طبيعة الأشياء الأولى التى يجب أن تغذى الحواس، والتخيل ليس فقط من أجل عدم الإعاقة - بل بالأحرى من أجل نمو الحياة المسيحية التى بدأت فى الطفل لتوها.

ومن المعروف أنه كما أن الغذاء الأول يؤثر على مزاج الجسد هكذا فإن الأشياء الأولى التى تأخذ مكانها فى النفس لها تأثير قوى على طبيعة النفس وعلى طريقة حياتها فيما بعد.

الفصل الثالث

تكوين الإتجاهات

١ - العقـــل.

٢ - الإرادة.

٣ - القلــب.

✝

الفصل الثالث

تكوين الإتجاهات

لو راعينا النمط السابق فى تربية الجسد والقدرات الأولية التى تنشأ عنه، فإن النفس يكون لها أرضية ممهدة لشخصية صالحة فى المستقبل، ولكنه على أى حال سيكون ذلك مجرد بداية أو أرضية ممهدة، ولكن الشخصية نفسها أو الإتجاه المستقبلى يتم تكوينه بعمل إيجابى من كل جوانبه أى العقل والإرادة والقلب.

١ - العقل:

إن القدرة على التفكير لدى الأطفال نستطيع أن

نتتبع نموها بوضوح، إنها تأتى فى نفس الوقت مع بداية الكلام ثم تنمو مع نمو القدرة على الكلام. إذاً فإن تكوين العقل يبدأ مع بداية الكلمات لدى الطفل ويجب أن نضع فى الإعتبار مدى تأثير الصوت الذى يسمعه الطفل على كلامه وعلى عقله وتفكيره خاصة بالنسبة للحياة المسيحية، لأنه من منطلق حكمنا نحن على الأشياء والأفعال يتعلم الطفل ما هو السليم وما هو الخطأ، ما هو الخير وما هو الشر، وهذا من السهل جداً أن نقوم به من خلال المحادثات العادية والأسئلة. فآلاباء حتى عندما يتكلمون فيما بينهم فإن الأطفال يسمعون ويلتقطون هذه الأحاديث ودائماً ما يقلدون الآباء ليس فقط فى الأفكار ولكن أيضاً فى طريقة الكلام بل وفى حركات الجسم أثناء الكلام.

لهذا فعلى الآباء أن يتوخوا الحذر أثناء الكلام ويدعوا الأشياء بأسمائها الصحيحة. فمثلاً. ما معنى

الحياة الحاضرة؟ وكيف تنتهى؟ ما مصير كل شئ؟ ما هى المسرات والمتع؟ ما قيمة بعض العادات التى لنا؟ دع الآباء يتحدثون مع أطفالهم ويشرحونها لهم إما بطريقة مباشرة - أو الأفضل من كل شئ - عن طريق القصص والحكايات.

فمثلاً هل هو حسن أن نرتدى ملابس جيدة، هل هو ممتع أن يتلقى الإنسان المديح من الناس؟ هذه بعض الأمثلة لذلك، أو دع الآباء يسألون أطفالهم ماذا يعتقدون بخصوص هذا الشئ أو ذاك ثم يصححون أخطاءهم. وبهذه الطريقة البسيطة فى خلال فترة قصيرة سوف نستطيع أن ننقل للأطفال الطريقة السليمة للحكم على الأشياء وترسخ هذه القواعد فيهم وسوف تستمر معهم طيلة حياتهم.

وبهذه الطريقة - فإن الفكر العالمى والخطية وحب الإستطلاع الذى لا يهدأ - سوف نقلعه من جذوره

الأولى. إن الحقيقة والإيمان تأسران العقل بما يرضيه ويشبعه، أما التفكير العالمى فإنه لا يشبع العقل ولهذا فإنه يشعل فيه حب الإستطلاع. فإننا نقدم للأطفال أكبر خدمة عندما نحميهم من هذا التفكير العالمى، وهذا يحدث طالما أنهم لم يبدأوا بعد قراءة الكتب.

وبالإضافه إلى هذا يجب أن لا نقدم للأطفال الكتب التى تحتوى على أفكار تجعلهم يضطربون لكى تكون عقولهم بصفة مستمرة فى حالة قداسة.

ولا يجب أن ننتظر ولا نحاول أن ندرب الطفل على هذه الأشياء بدعوى أنه لا يزال صغيراً، فالحقيقة متاحة لكل فرد. فهذا الطفل المسيحى الصغير لديه من الحكمة ما يفوق الفلاسفة وهذا يتضح لنا بالخبرة، وهذه الخبرة نلمسها أحياناً بصفة يومية وفى كل مكان منذ القديم.

فمثلاً فى فترة الإستشهاد (الإضطهاد المسيحى)

كـان الأطفـال الصـغـار يتلقـون العظات عن المسـيح المخلص وعن الحياة الآتية وعن المحبة وعن حماقة عبادة الأوثان هذا لأن آباءهم أو أمـهـاتهم شـرحـوا لهم هذه الأشياء فى أحاديث ومناقشات بسيطة. وهكذا تصبح هذه الحقائق قريبة من قلوبهم التى تمتلئ بها إلى أن تصبح مستعدة للموت من أجلها.

٢- الإرادة:

إن الطفل له رغبات كثيرة ومتعددة، فكل شئ يستحوذ على إهتمامه ويجذبه ومن ثم تنشأ عنده الرغبة، ولأنه غير قادر على التميز بين الخير والشر فإنه يرغب فى كل شئ ويكون مستعداً لأن يعمل أى شئ يرغب فيه، ولو ترك الطفل لنفسه فإنه يصبح غير مستأنس أى (صعب الترويض) فتنمو لديه الإرادة الذاتية. ولذا يجب على الوالدين أن يلاحظاه بدقة ولا سيما مع بزوغ هذا النشاط للنفس.

ومن أبسط الطرق التى تضبط الإرادة فى حجمها الصحيح هوأن لا نجعل الأطفال يفعلون شيئاً بدون إذن أو تصريح. فلنعودهم أن يسرعوا إلى والديهم ويسألوهم «هل أستطيع أن أفعل هذا أو ذاك؟» فلا بد أن يقودوا ويختبروا بأنفسهم أنه من الخطر أن ينفذوا كل رغباتهم الذاتية، فلابد أن نضعهم فى الإطار العقلى الذى يجعلهم - حتى خائفين- من إرادتهم الذاتية. وهذا الحذر الذى ينشأ لدى الطفل من تنفيذ رغباته الذاتية هو الذى سوف يستمر معه طيلة حياته وينطبع داخله. لأنه فى المراحل الأولى للطفولة يوجه الطفل أسئلة للكبار ومن ثم يتضح له جهله وضعفه، وينبغى أن يظل الطفل يشعر بهذا الإحساس وينمو لديه حتى يصبح هو قانونا مطلقا لحياته وهو أنه بحاجة إلى السؤال والإستشارة.

وسوف يكون المسار الطبيعى لهذا الإتجاه هو:-

١- الطاعة التامة والإمتثال فى كل أمر لرغبة الآباء حتى لو كانت ضد إرادة الطفل الذاتية.

٢- إستعداد الطفل لأن يؤنب نفسه على أشياء كثيرة مع التعود أو القدرة على هذا.

٣- وهو الأمر الرئيسى، الإعتقاد الراسخ المبنئ على الخبرة أنه لا ينبغى أن يطيع الإنسان نفسه فى كل شئ.

كل هذه النتائج يستطيع الطفل أن يتفهمها عن طريق إختباراته وخبرته الشخصية لأنه يرغب فى أشياء كثيرة. ولكن غالباً ما تكون هذه الأشياء ضارة سواء لجسده أو لروحه.

وبينما نحن نعود الطفل ألا يطيع إرادته الذاتية يجب أن ندربه فى نفس الوقت أن يفعل الخير. ولأجل هذا الفرض لابد أن يكون الآباء قدوة حسنة لأطفالهم

فى فعل الخير وفى الحياة الصالحة وأن يعرفوا أطفالهم على أناس لا يكون هدف حياتهم هو المسرات فقط بل يكون هدف حياتهم هو خلاص النفس. فالأطفال تحب المحاكاة وتقليد كل شئ. فمنذ الطفولة المبكرة جداً يتعلمون أن يصبحوا نسخة من الأم أو الأب. وهنا يحدث ما يشبه لما يصدر عن الآلات المتشابهة تماماً فى النغمات.

وفى نفس الوقت ينبغى أن نزرع فى الأطفال أنفسهم الفضائل المختلفة. ففى البداية نطلب منهم أن يعملوا الأعمال الصالحة ثم نقودهم لأن يفعلوها من تلقاء أنفسهم. ومن الفضائل المعتادة فى هذا المقام مثلاً الصدقة والحنان والرحمة والخضوع للآخرين والصبر. إنه ليس من الصعب أن ننبههم إلى هذه الأشياء، فالفرصة متاحة فى كل وقت، فقط يجب أن نستغلها وندربهم، ومع تدريبهم على هذا فإن إرادتهم

سوف تميل لفعل هذه الفضائل مع إستحسان عام لكل ما هو خير.

٣- القلب:

إذا كان العقل والإرادة وبقية قدرات الجسم تعمل وفق هذه الطريقة التى ذكرناها آنفاً فمن البديهى أن القلب أيضا سوف تكون لديه مشاعر حقيقية راسخة وسوف يكتسب عادة الإستمتاع بما هو ممتع حقاً ولا يتعاطف مع المتع التى تصب سمومها فى الروح والجسد. فإن القلب هو القدرة على تذوق (وحس) الإشباع.

فعندما يكون الإنسان متصلاً بالله فإنه يجد لذته فى الأشياء المقدسة بنعمة الله. ولكنه عندما يسقط فإنه يفقد هذا التذوق ثم يصبح متعطشا لكل ما هو سئ، ثم تزيل نعمة المعمودية كل هذا. ولكن الأمور الحسية مازالت مستعده لأن تملأ القلب.

فالإنسان يجب أن لا يسمح لها بهذا. بل يجب أن يسلح القلب. ومن أكثر الوسائل الفعالة لتعليم القلب التذوق الحقيقى هو الحياة الكنسية التى يجب أن ينشأ فيها كل الأطفال فى مراحل تربيتهم المختلفة. فالتعامل مع الأسرار المقدسة والإستمتاع بالبقاء فيها بما فيها من هدوء ودفء والإنفصال عن الأشياء العالمية البراقة والجذابة، كل هذا لا يمكن أن يطبع فى القلب بطريقة أفضل من الحياة الكنسية الكاملة. فمبنى الكنيسة وترانيم الكنيسة والأيقونات كلها تمثل النماذج الأولى للفن الراقى فى مضمونها وقوتها بالنسبة للطفل.

ويجب علينا أن نتذكر دائماً أن مسكننا فى الأبدية متوقف على تذوق القلب للأشياء فى حياتنا الحاضرة، إما تذوق للأشياء المادية وإما تذوق للأمور الروحية. وقد ثبت أن المسارح والعروض المختلفة وما شابه ذلك لا تناسب المسيحيين إطلاقاً.

فالنفس التى تعودت أن تكون هادئة ومطوعّة بهذه الطريقة لا يمكن - وطبيعتها أصبحت هكذا- أن تعوق نمو الروح. فالروح تنمى نفسها بسهولة أكثر من النفس ومن ثم فالروح تكتسب قدراتها ونشاطها وتطهرها فى وقت مبكر عن ظهورها فى النفس.

ففيما يتعلق بالروح هناك مخافة الله النابعة من العقل وهناك الضمير النابع عن الإرادة.

وهناك الصلاة النابعة من المشاعر. ومخافة الله تنشئ الصلاة وتجعل الضمير نقياً ولا داع أن نركز إهتمامنا مع الأطفال على العالم الآتى (أى الغير مرئى) لأن الأطفال بطبيعتهم يمثلون لتخيل ذلك ودائما ما يكونون منجذبين نحو هذه المشاعر. وهم ينخرطون فى الصلاة بسهولة، وهى تنبع من قلوبهم أكثر من ألسنتهم وهذا هو السبب فى أن الأطفال يحبون أن يشاركوا - بأرادتهم وبدون مشقة منا - فى

الصلاة فى المنزل وأيضاً فى الخدمات الكنسية المختلفة بل ويكونون سعداء بهذه المشاركة.

ولهـذا يجب أن لا يبتعدون أبداً عن هذا الجزء من التعليم بل نقودهم خطوة خطوة نحو هذا المحراب.

فكلما إنطبعت مخافة الله والصلاة فى قلوبهم مبكراً كلما كانت التقوى راسخة فيهم طوال حياتهم.

وفى بعض الأطفال تعبر هذه الروح عن نفسها حتى لو ظهرت بعض المعوقات فى طريقها. وهذا طبيعى جدا، إذ أن روح النعمة التى تسلمها الأطفال فى المعمودية طالما أنها لم تنطفئ بالتربية الخاطئة للجسد والنفس فلا بد أن تعطى الحياة للروح إذ ليس هناك ما يمنعها من أن تتجلى بكل قوتها.

والضمير أيضاً يتطلب القيادة اللصيقة، فالمعتقدات الراسخة بجانب القدوة الحسنة من الوالدين وبجانب

الوسائل الأخرى لتعليم الخير وأيضاً الصلاة، كل هذا ينقى الضمير ويطبع عليه الرغبة فى عمل الخير بكل أنواعه. ولكن العامل الأساسى لتنشئة الضمير الصالح هو أن ينشأ لدى الأطفال إتجاه عام نحو اليقظة والحذر.

فالحذر له أهمية غير عادية فى الحياة برغم أنه من السهولة أن ننمية فى الأطفال وبنفس السهولة يمكن أن نخففه داخلهم.

إن إرادة الوالدين بالنسبة للأطفال الصغار هى قانون الضمير وناموس الله، ليت الوالدين - طبقاً للمفاهيم الصحيحة - أن يوليا إهتمامهما بأن يجعلا الأطفال لا تخالف إرادتهما، ولودربا الأطفال على هذا فإنهم سوف ينشأون بقدر المستطاع على ممارسة التوبة، إن معصية إرادة الوالدين بالنسبة للطفل تجعله لا يستطيع أن ينظر فى عينك ولا يرغب فى أن يشعر بالعطف

والشـفـقــة بل ويرغب الطفل فى أن يهـرب من أمــامك ويبــقى وحـيــداً ولكن فى نفس الوقت تصــبح نفــســه ركـيكة وينشـأ همـجيـاً. إنه حسن أن تعـد الطفل بمرور الوقت لتــعلم الطاعــة. وهكذا بدون خــوف ويشـئ من الثقة والوضوح ربما يأتى ليقول لك «لقد أخطأت».

وغنى عن القـول أن كـل هذا سـوف يرسب فى نـفس الطفل المفاهيم المعتادة عن الخير والصلاح، ولكن الشئ الجيـد هنا هو أن هذه الطريقـة فى التـربيـة سـوف تغـرس فى الطفل مستقبلاً صفة دينية حقيـقية وثابتة وهى أنه فى حالة سقوطه سوف يقوم فى الحال وهكذا تنشـأ لديه القدرة على التـوبة السـريعة مع تنقـيـة النفس وتجديدها بالدموع.

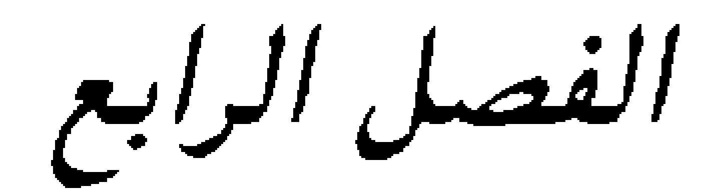
هـكذا نـكون قــد وضــعنا للطفل أسلوباً لحــيــاتـه، فلندعه ينمو خلال هذا الأسلوب وهكذا سوف تنشأ لديه روح الطاعة وتنمو أكثر فأكثر، ويجب على الوالدين أن

يتتبعا كل قدرة لدى الطفل ويتابعان بزوغها لكى يوجهاها نحو الهدف المنشود.

وهذا هو النظام المتبع، أن نبدأ مع الطفل منذ النَفَس الأول له وأن نبدأ فى كل شئ فى الحال أى ليس شئ ثم شئ آخر بل كل النواحى تبدأ معاً وأن نقوم بهذا بلا توقف وبإعتدال وأن نقوم به خطوة خطوة وبدون قفزات حادة وبصبر ورجاء ملاحظين أن نسير بتدرج حكيم.

مراقبين كل نبتة جديدة تظهر فى الطفل وغرسها فى مكانها الصحيح فلا ننظر لشئ على أنه غير مهم فى هذه المسألة.

ونحن هنا لا نتطرق إلى التفاصيل لأننا هنا فقط نضع فى إعتبارنا ونوجه عقولنا نحو الإتجاه الصحيح للتربية.



سنوات الصبا

١ - التوجيه.

٢ - التبعية للمسيح.

٣ - الإدراك.

✝

الفصل الرابع

سنوات الصبا

لا يستطيع أحد أن يحدد على وجه الدقة متى يبدأ الشخص يدرك نفسه كإنسان مسيحى ومتى يقرر بإرادته أن يسلك الطريق المسيحى، ففى الواقع يحدث ذلك فى أوقات مختلفة فى سن السابعة أو العاشرة أو الخامسة عشر أو بعد ذلك. وربما يسبق هذا فترة الدراسة كما يحدث عادة.

١- التوجية:

وفي نفس الوقت هناك قاعدة لا تتغير وهى أن الإنسان يجب أن يحافظ على الأمور السابقة الذكر كما

هى بدون تغـيـيـر خـلال وقت الدراسـة كله لأنهـا تنبع أسـاسـاً من طبـيـعـة قـدراتنا ومن مـتطلبـات الحـيـاة المسـيـحـيـة، فـمـسـألة الدراسـة لا يجب أن توضع فى المواجهـة مع الإتجاه المنشود وإلا فسوف يدمر كل شئ تم إتخاذه.

أى إننا يجب أن نحيط التلاميذ الصغار- تماما مثل الأطفال الصغار- بكل وسائل الطاعةلكل ما حولهم عن طريق الحياة الكنسية والأسرار المقدسة وهكذا يجب أن نؤثر فيهم من خلال الجسدِ والنفس والروح.

وفى نفس الوقت ومن خلال الواقع العملى فإننى فى عـمليـة التـعليم ذاتهـا يجب أن نضـيـف أننا يجب أن نجـعل التـوجـيـة مـرتبـاً جداً حـتى يبـدو واضـحـاً مـا هى النقطة الرئيسية وما هى الثانوية التى تليها.

هذه الفكرة من السـهل أن تنطبع من خـلال تقـسـيم مـواضـيع الدراسـة والوقت المحـدد لكل منهـا. فلنجـعل

دراســة الإيمان هى الشئ الرئيــسى ولنجـعل أفــضل الأوقات مخصصة لأعمال الطاعة والتقوى. وفى حالة وجود تعارض فلندع أعمال التقوى تأخذ المركز الأول مثل التعليم، وليكن الرضا عليهم لا يتوقف فقط على النجــاح فى الدراســة بل أيضــاً على الإيمان والسلوك الحسن:-

١- ومن هنا يجب علينا أن نوجه عقل التلاميذ ألا يفقدوا الإعتقاد الراسخ بأن عملنا الأساسى هو إرضاء الله وأن مسألة الدراسة تأتى فى المرتبة الثانية بعدها- أى أنها شئ عارض- وأنها مفيدة فقط فى الحياة الحـاضــرة. وهذا هو السـبب فى أننا لا يجب أن نضع مسألة الدراسة والتعليم فى مرتبة عالية وجذابة لدرجة أن تستحوذ على إهتمام التلميذ كله أو تمتص كل معتقداته.

فلا شئ يسمم أو يدمر روح الحياة المسيحية أكثر من

هذا الإعتقاد وإعطاءه الأهمية القصوى. إنه يحدد الإنسان داخل إطار الفتور والجمود ثم يحتفظ به داخل هذا الإطار بقية حياته لو تهيأت له الظروف لذلك.

٢- وثانى الأمور التي يجب أن نهتم بها بعد موضوع الدراسة هو روح التوجيه أو روح الإتجاه نحو مواضيع الدراسة ويجب أن نضعة كقانون غير قابل للتغيير. وهكذا فإن كل نوع من التعليم يدرس للفتى المسيحى يجب أن يكون متضمناً للقواعد المسيحية وبخاصة التعاليم الأرثوذكسية. فكل نوع من فروع التعليم يمكن أن يتضمن هذا وسوف يكون تعليماً دقيقاً فقط لو تضمن هذه الشروط.

والعقائد المسيحية ثابتة ومؤكدة وبعيدة عن أى شك، إذاً فلنجعلها مقياس للحقيقة بدون أى شك. وهناك خطأ خطير شائع بيننا وهو أن مواضيع التعليم والدراسة يتم تدريسها بدون توجيه أى إهتمام نحو

الإيمان الحقيقى. فينبغى أن يكون التفكير السليم السائد داخلنا أن الإيمان والتعليم دائرتان تنطبقان تماما على بعضهما البعض.

وعلى العكس نحن لدينا روح واحد، وروحنا يستمد التعليم بكل معتقداته بمجرد أن يستمد الإيمان الذى يخترقة. فكيف لا تنطبق الدائرتان إذاً؟ سواء كان ذلك مفضلاً أو غير مفضل فلا بد أن تنطبق الدائرتان.

وفى نفس الوقت فإن دائرة الإيمان هى واحدة. فلماذا إذاً نتعب عقولنا فى أشياء خارج نطاق هذه الدائرة؟

فلو وصل التوجية والإرشاد بهذه الطريقة إلى الفتى فإن الإيمان بجانب الحياة بروح الإيمان سوف تسود على إهتمامه سواء فى طريقة دراسته أو فى روح التوجيه، وقتها- بدون شك- سوف تكون المبادئ التى تلقاها فى طفولته محفوظة فى قلبه. بل سوف تنمو وتقوى لتصل لمرحلة النضج. وما أجمل تأثيرها فى حياته حينئذ.

فـإذا رتبنا تربيـة الطفل بهـذه الطريقـة منذ سنوات عـمره الأولى فـإنه قليـلاً قليـلاً سـوف تتكون الشخصـية التـى سـوف تكون له بقـيـة حـيـاته على هذا الأسـاس، وسـوف يكبـر وفى ذهنه إعـتـقـاد بأنـه قـد وضـعت عليـه الضـرورات التى أعطاها الله المخلص ليـحـيـا ويسلك حسب وصاياه. وأيضاً بأن كل المطالب والرغبات الأخرى مكانهـا يأتى بعـد وصـايا الله لأنهـا ضـرورية لحـيـاتنا الحاضرة فقط بينما هناك مكان آخر للأبدية التى هى بيتنا الأبدى الذى يجب أن نوجه كل أفكارنا ورغباتنا نحوه.

ففى المسار الطبيعى لنمو قدرات الإنسان يدرك كل إنسـان بالطبيـعـة أنه أصبح رجـلاً. لكن لو إلتـصق بطبيعته الإعتقاد الجديد الذى يتسلمه مع المعمودية (أى نعمة المسيح) خاصة منذ أيام عمره الأولى فإنه عندما تستيقظ قدراته وتنفجر قدراته المختلفة وهى

مرتبطة بهذه النعمة المعطاة له فإنه ينشأ ولدية إعتقاد راسخ بأن هذه النعمة هى أساس كل شئ فى حياته بل وهى التى يتجدد فى إطارها كل أمر من أمور حياته. فعندما يصبح رجلاً سوف يحب نفسه وفى نفس الوقت يسلك حسب العقائد المسيحية وسوف يجد نفسه رجلاً مسيحياً حقاً.

وهذا هو الهدف الأساسى من التربية المسيحية أن الإرشاد نتيجة لهذا سوف يقول فى نفسه أنه إنسان مسيحى. وعندما يصل للنضج والإدراك التام سوف يقول (أنا مسيحى مطالب من مخلصى وإلهى أن أحيا بالطريقة التى بها أرجو أن يهبنى الشركة المباركة معه ومع مختارية فى الحياة الآتية).

ثم عندما يكبر ويعتمد على نفسه فى كل شئ سوف يوطد نفسه أن يكون إهتمامه الأساسى وشغله الشاغل أن يحافظ على النعمة المعطاه له وأن يدفئ

روح التـقـوى التى سلكهـا من قـبل بمسـاعـدة الآخـرين الذين ربوه على هذه الروح.

٢- التبعية للمسيح:

من الملاحظ أن هناك لحظات خـاصـة لابد أن يذكـر الإنسان نفسه فيها بالوصايا والتعاليم المسيحية وأن يضع علي عاتقة أن يحمل نير المسيح.

ففى المعمودية نأخذ على عاتقنا هذه الوصايا والنير ولكن بدون إدراك للطفل المعمد لها ، ولكن شـخصـاً آخر هو الذى يتعهد بذلك فى عقله وقلبه (الأشبين). ولكن الآن بعـد أن نضج الطفل فـقـد آن الأوان لكى يضع فى نفسه بإرادته وادراكة التامين أن يحمل نيـر المسيح الهين، وأن يختار الحياة المسيحية وأن يكرس نفسه بالتمام لله حتى أنه يقضى بقية حياته يخدم الله بحرارة وحماس.

هنا فقط يبدأ الإنسان يحيا الحياة المسيحية من نفسه وبإرادته. نعم إنها كانت داخله ولكنها لم تكن نابعة من ذاته ورغبته هو أى ليس من شخصه هو.

ولكن الآن هو بنفسه ومن تلقاء ذاته يبدأ يسلك بروح الإنسان المسيحى. فقبل هذا كان نور المسيح داخله مثل النور الذي غطى الأرض من أول يوم للخليقة (الذى لم ينبع من مصدر مركزى) بل أنه كان منتشراً، ولكن كما أنه ينبغي أن يوجد مصدر للضوء ينقله إلى الشموس والكواكب هكذا أيضاً هذا النور (الروحى) لابد أن يتجمع حول المركز الرئيسى لحياتنا وهو إدراكنا.

٣- الإدراك:

فالشخص يصبح بالحقيقة إنساناً عندما يأتى إلى إدراك ذاته وإستقلال عقله. أى عندما يصبح هو السيد المسيطر بالتمام على أفكاره الخاصة وعقائده التى

يحتفظ بها ليس لأن الآخرين قد نقلوها له بل لأنه بنفسه وبذاته وجد أنها معتقدات صحيحة.

فعندما يصبح الإنسان مسيحياً فإنه لايزال إنساناً ولكن في مسيحيته يجب أن يكون مفكراً ومنطقياً. وهذه العقلانية فقط يجب أن يجعلها لمصلحة الإيمان المقدس، فلتجعله هذه العقلانية والمنطق يقتنع بأن الإيمان الأقدس الذي يؤمن به ويملأ قلبه هو الطريق الصحيح الوحيد الذي يؤدي إلى الخلاص وجميع الطرق الأخرى التي لا تتفق مع هذا الإيمان إنما تؤدي إلى الهلاك الأبدي.

فلا يتفق مع كرامة الإنسان أن يكون مؤمناً إيماناً أعمى بل يجب أن يكون لديه الإيمان المنطقي الذي يدركه بنفسه وعلى هذا الأساس سوف يكون سلوكه كما ينبغي أن يكون.

وكل هذا يعمله الإنسان إذا ما وضع على عاتقه نير

المسيح اللطيف، فهنا فقط يصبح إيمان الإنسان الشخصي وحياته الصالحة المبنية على الإيمان تكون راسخة وثابتة، وقتها لن يهتز الإنسان داخله من رؤية نموذج سئ ولن ينجذب نحو الأفكار التافهة لأنه يدرك بوضوح ونقاء ضرورة أن يفكر ويسلك حسب الطريقة المسيحية المحددة.

ولكن عندما يدرك الإنسان هذا فكما كان سابقاً يتبع القدوة الحسنة والمثال الجيد، فإنه الآن سوف يتأثر أيضاً بالمثال السئ الذى ربما يجذبه إليه فيقلده ويقع فى الخطية. وكما إحتلت الأفكار الجيدة التى علمها له الآخرين سابقاً عقله بسهولة وبدون إعتراض فالآن أيضاً تأخذ الأفكار الشيطانية مكاناً داخله.

ومن واقع الخبرة العملية فإن الإنسان الذى ثبت فى الإيمان والحياة الصالحة التى كان يسلكها سابقاً بغير إدراك منه، سوف يستمر فى هذه السلوك كإنسان

مسيحى، فالذى كانت له خبرات روحية قليلة سوف يستمر حتى يبلغ ويصل للنضج فى بساطة القلب، ولكن الذى لم يستطع أن يهرب من هذه الإغراءات سوف يقف أمام الخطر الكبير.

فإننا نرى فى حياة كل الذين حافظوا على نعمة المعمودية أنه فى حياة كل منهم لحظة قرروا فيها تكريس أنفسهم لله نعبر عنها بهذه الكلمات (أصبحوا ملتهبين بالروح) أو (إنه إشتعل بالرغبة المقدسة).

ندع الإنسان الذى وصل إلى إدراك ذاته كإنسان مسيحى أو الشخص الذى قرر بإرادته أن يحيا فى الطريق المسيحى - دعه يحفظ بكل عنايه- أن يكمل وينقى الحياة التى تسلمها فى سن أصغر كما حفظ الذين قبله هذه الحياة المقدسة.

ولا حاجة لوجود قواعد خاصة تقوده على الطريق.

لأنه فى هذا المضمار هو هو نفس الإنسان الذى كان فى السابق يقدم توبة ويرفض الخطية ويصرّ على أن يسلك الطريق المسيحى بكل حرارة وحماس. وعلى هذا فمن الآن فصاعداً يجب أن تقوده نفس القواعد والقوانين التى ذكرناها سابقاً مع تربية الأطفال.

فالفرق بين هذا الإنسان وإنسان آخر تاب وفى طريقه للكمال هو فرق واضح ولا يحتاج لشرح أكثر.

والآن ينبغى أن نقدم تحذيرات كثيرة مهمة تتعلق بشدة بفترة الصبا. فكم هو جيد للخلاص ليس فقط أن نوجهه للطريق المسيحى خلال تربيته بل أيضاً بعد ذلك وعندما يتعرف على ذاته ويقرر أن يكون مسيحياً قبل أن يصل لمرحلة النضج والشباب فهذا شئ أساسى خاصة من ناحية المخاطر العظيمة التى لابد وأن يتعرض لها الفتيان أولاً من ناحية طبيعة هذا السن وثانياً من ناحية الإغراءات والغوايات الكبيرة التى تعرض خلال فترة الصبا.

الفصل الخامس

كيف نتفهم الشباب؟

أولاً : أمواج الصدمات فى الشباب.

ثانياً: نوعان من الميول.

ثالثاً: كيف نتفهم الإنجذاب الجنسى.

رابعاً: صفتان تتعلقان بالشباب.

الفصل الخامس

كيف نتفهم الشباب[1]

إن نهر حياتنا تقطعه الفترة المذبذبة التى للشباب والتى فيها تغلى حياة الجسد والروح فى بخار مكثف. فالطفل يحيا فى إستكانة وهدوء، والشخص البالغ تجتازه القليل من الصدمات العنيفة. وهؤلاء الذين إكتسبوا الشعر الرمادى (الكهولة) قد ركنوا إلى الراحة والسكينة، إنه فقط الشباب الذى يغلى مع الحياة.

١- الكلام هنا خاص بالشباب بصفة عامة (الأولاد والبنات) وما ينطبق على الشاب ينطبق على الشابة أيضاً (المترجم)

أولاً: أمواج الصدمات فى الشباب:

لا بد أن يكون لدى الإنسان إيمان قوى جداً يستطيع به أن يواجه بصلابة هذه الفترة بما فيها من أمواج وصدمات فى فترة الشباب المبكر. فالمؤثرات والإغراءات والإهتزازات التى تعرض للشباب فى هذه السن لها خطورة كبيرة عليهم.

فهنا تبدأ أولاً بأنشطة وتحركات الشاب النابعة من ذاته هو، أى بداية يقظة قواه وقدراته المختلفة التى لها عليه سحر وإفتنان عظيمان. وبقوة تأثيرهما عليه فإنهما تزاحمان كل شئ داخله قد إكتسبه فى عقله وقلبه خلال طفولته وصباه. فكل الذى مر عليه فى الماضى يصبح حلماً أو حكماً مسبقاً على الأشياء. فقط مشاعره الحالية هى التى تبدو له حقيقية وواقعية ومفيدة وبناءة.

على أى حال لو أنه قبل يقظة القوى والقدرات

الخاصة بالشاب كان هو أصلاً خلال طفولته وصباه مرتبطاً ومتعلقاً بالوصايا والعقائد الإيمانية السليمة ويحيا كإنسان مسيحى فإنه فى شبابه أو تفجر قواه سوف تكون كل المؤثرات الجديدة التى تحيط به ثانوية، وسوف تكون أضعف، بل وسوف تكون الأولوية في الإستجابة للمؤثرات السابقة التى عايشها فى مراحل حياته الأولى لأنها هى الأقدم داخل نفسه، وقد تذوقها أولاً وإختارها قلبه وهى الشئ الرئيسى الذى نذر نفسه له، والشاب دائما ما يريد أن يكون عند كلمته أى أن يفى بها.

ولكن ماذا يمكننا أن نقول بخصوص شخص ليس فقط لم يحب الحياة المسيحية لكنه أيضاً لم يسمع عنها من قبل.

فى هذه الحالة يكون هذا الشخص أشبه بالبيت الذى بدون حماية متروك للصوص، أو هو مثل العود الجاف

الذى يترك ليحترق فى النار. فعندما يأتى إستبداد الشـــاب ويلقى بظلال الشك فى كل شئ، وعندمـــا تستيقظ عواطفة ورغباته، سوف تسبب له إضطراباً عظيمـاً، وقتـهـا تكون النفس كلهـا مملؤه بالأفكار والإغراءات والرغبات ويكون الشاب وسط أتون النار.

من ذا الذى سوف يعطية قطرة الندى التى تبرد هذه النار أو من الذى سوف يمد له يد المساعدة إن لم يكن هناك صوت صادر من قلبه هو يخبره بالحقائق وبالصلاح وبالنقاوة؟

ولكن هذا الصوت لن يأتى إن لم يكن هناك إشتياقاً سابقاً له حتى النصيحة والمشورة لن تجذباه ولن تغيراه، ولن يكون هناك أى شئ يمكن أن يتعلق به لينجو!!!

فالنصيحة والمشورة تكونان لهما تأثير لوأنهما عبرا من السمع إلى القلب حيث توقظ مشاعر موجودة

بالفعل ولها قيمتها إلا أنها قد تركت مهمله لبعض الوقت، بينما نحن ببساطة لا نعرف كيف نصل إليها لنعطيها فعاليتها وتأثيرها.. في هذه الحالة تكون النصيحة هدية لإنقاذ حياة الشاب. لكن لو لم تكن فى القلب بدايات للحياة النقية سوف تكون النصيحة بلا قيمة أو فائدة!!

فالشاب يعيش فى عالمه الخاص، وهكذا من ذا الذى سوف يعرف كل ميوله ورغباته وأفكارة؟ إنه هنا تكون الصعوبة أو إستحالة تحديد مسار طائر فى الهواء والسماء أو مسار سفينة فى الماء.

مثل الرغاوى الناتجة عن تخمر السائل، ومثل الحركة التى تنشأ عن إختلاط العناصر المتباينة هكذا يكون قلب الشاب، فإن كل عناصر الطبيعة تستيقظ داخله بنشاط وكل رغبة منها تصرخ وتنشد الإشباع. فهناك إضطراب فى طبيعتنا وهكذا تصبح الأصوات

الصـادرة مـعـاً من طبـيـعـتنا مـثل الصـراخ المضطرب للجموع الصاخبة!!

فـما الذي يحدث للشباب لولم يكن قد درب نفسه أن يضبط إنفعالاته بطريقة معينه أو لو لم يكون قد تدرب على أن يضع حدوداً وحواجزاً لكي يحتفظ بحواسه وعواطفه تحت قيادة عليا من نفسه ومن وصايا الله؟

فلو كانت هذه المبادئ مطبوعة بعمق فى قلبه خلال تربيته فى مراحل الطفولة ثم قبلها بإرادته وإدراكة بعد ذلك فى شبابه حتى أصبحت قانوناً لحياته، وقتها سوف تكون كل هذه المؤثرات وكأنها على السطح وسوف تعبر بدون أن تزعزع معتقداته أو تهز نفسه.

والحالة التى سوف يخرج بها من سنوات الشباب تتوقف إلى حد بعيد على الحالة التى بدأنا بها هذه

المرحلة. فالماء الذى يسقط من الشلال على سفح الجبل يرغى ويذبد ثم بعد ذلك يمضى فى مساره فى هدوء. هذه هى صورة الشباب الذى يندفع كل أحد فيه مثل إندفاع الماء من الشلال. ومن هنا يأتى نوعان من الناس:

النوع الأول يلمع ويضئ بالفضيلة والنبل، والنوع الثانى يظلم بالعقوق والحياة المضطربة.

ولكن هناك نوعاً ثالثاً من الناس وهو درجة متوسطة بين النوعين الأول والثانى وهو مزيج من الخير والشر وهو أشبة ما يكون بجذوة النار (الجمرة) يميل الآن نحو الخير ثم يميل نحو الشر مرة أخرى، أو مثل الساعة المهشمة التى تعمل أحياناً بطريقة طبيعية وأحيانا أخرى تؤخر أو تجرى سريعاً.

والإنسان الذى حصن نفسه فى سنى حياته الأولى

بالعقائد والوصايا قد إتخذ لنفسه ملاذاً وملجاً كما لو كان فى سفينة قوية ومتينة، لا تسمح أبداً بأى ماء أن يدخل إليها ، أو كمن حفر لنفسه حول دوامة المياه جدولاً يسير فيه الماء هادئاً. فبدون هذا حتى التربية الصالحة لن تنقذ هذا الإنسان.

وربما يحدث أن لا يسقط الشاب فى إنتكاسات حادة ولكنه أيضاً إن لم يكن محصناً جيداً، وإن لم يكن قلبه مبتعداً عن كل شر ومكرساً للمسيح، فإن الشاب سوف تتجاذبه أطراف شتى من الحياة، هذه تجذبه تارة، وتلك تجذبه تارة أخرى وتكون النتيجة بعد مرور سنوات الشباب هى أنه لم يسقط ولكنه يخرج منها بحالة فتور وبرود وبدون أن يرسو على أى ميناء.

فكم تكون أهمية حماية الإنسان قبل سنى الشباب ليس فقط لكى تكون لديه النظرة الصائبة للأمور

ولكن أيضاً لكى يكون راسخاً في نذره بأن يكون مسيحياً حقيقياً.

إن الذين ثبتوا منذ البداية فإنهم يجتازونها مثل النار وأنهم يهربون من كل غوايات مرحلة الشباب التى تجعلهم يخرجون منها مهتزين وغير ثابتين البتة.

ثانياً: نوعان من الميول:

إن مرحلة الشباب فى حد ذاتها خطرة ولكن بعيداً عن هذا هناك نوعان من الميول يتميز بها هذا السن ومنها تنبع المؤثرات والإغراءات لدى الشباب وتشتعل وتكتسب قوة وخطورة عظيمة. هذان الميلان هما :

١- التعطش لكل مؤثر.

٢- الميل للإختلاط بالآخرين.

ولهذا فلكى نتجنب مخاطر هذا السن فنحن ننصح

بتوضيح هذه الميول وأن نجعلها تحت السيطرة وتخضع لقوانين وقواعد، فالميل للخير الذى إستيقظ مبكراً داخل الشخص فى طفولته وصباه سوف يظل قوياً ومؤثراً فى حياته إن لم تطفئة وتخنقه أشياء أخرى:

١ - *التعطش لكل التأثيرات:*

إن العطش للمؤثرات يعطى نوعاً من التهور والإندفاع فى كثير من أنشطة فترة الشباب. إن الشباب يريد أن يتذوق بنفسه كل شئ وأن يرى كل شئ وأن يسمع كل شئ وأن يكون فى كل مكان.

إنك تستطيع أن تراه فى أى مكان فيه أضواء تشد النظر أو موسيقى ترتاح لسماعها الأذن، أو فى مكان طلق يكون فيه حر الحركة، إنه يريد أن يكون تحت تيار غير منقطع من الإنفعالات والتأثيرات، دائماً تكون جديدة وبالتالى ستكون متنوعة. إنه لا يريد أن يقبع

فى المنزل ولا يريد أن يظل فى مكان واحد ولا يريد أن يركز على نشاط واحد. إن العنصر الأساسى فى تفكيره هو إمتاع نفسه.

ولكن هذا أيضاً لا يكفيه إنه لا يشبعه أن يتذود بالحقيقة بل إنه يريد أن يقلد أى شئ يعرض له وأن ينتقل إليه ما يشعر به الآخرون وأن يقوم بما يقوم به الآخرين بأنفسهم فى ظروف مشابهة لظروفه هو.

ثم يبدأ أن يلقى بنفسه بين الكتب ويبدأ القراءة ثم يجتاز من كتاب لآخر وغالبا بدون حتى أن يفهم محتويات الكتب إنه أساساً يشتاق إلى تأثير هذه الكتب عليه بصرف النظر عن مادة الكتاب أو الموضوع الذى يلمسه هذا الكتاب. إنه يريد الشئ الجديد والمصور والحاد. فهذه هى صفات الكتاب المفضل لديه الذى يتمنى أن يحصل عليه. وهنا ينشأ ميل الى قراءة

الأشـيـاء التى تبـهـر. إنه نفس العطش للمـؤثرات المختلفة الذى ذكرناه ولكن فى صورة مختلفة.

إن الشباب غالباً ما يتضايق من الواقع لأنه إلى حد ما يقيده، إنه يربطه بالأرض ويحيطه بحدود واضحة بينما هو يتوق إلى شئ من الحرية، لذلك تجد الشاب دائماً يخلع نفسه من الواقع ليحلق فى عالم آخر خلقه لنفسه وهناك يبدأ يسلك فى خياله.

فخياله يبنى له الكثير من القصص التى يكون البطل فيها دائماً هو ذاته، فالشباب فقط يدخل إلى الحياة وأمامه مستقبل خادع ومغر، وفى الوقت المعين سوف يعيشه، ولكن ماذا سيكون هو؟ هل لا يستطيع الإنسان أن يزيح الستار قليلاً ويلقى نظره؟ ولكن خياله لا يسعفه ولا يشبعة برغم أنه يكون نشيطاً جداً فى هذا السن فيبدأ تتجلى لديه أحلام اليقظة التى تنمو وتترعرع.

فأحلام اليقظة والقراءات المبهرة والمتع المختلفة كلها شئ واحد. ونفس الشئ بالنسبة للروح كلها نتاج العطش للمؤثرات المختلفة والمتنوعة أى العطش لكل ما هو جديد ومختلف.

والخطورة الناتجة عنهم واحدة ومتماسكة، فليس هناك وسيلة فعالة لقتل البذور الصالحة التى زرعت فى القلب مبكراً مثل هذه الأشياء.

فالزهرة التي تزرع فى مكان يكون فى مهب الريح تحاصرها الرياح من كل جانب، تنمو قليلا ثم تجف، والعشب الذى يدوسه الناس بإستمرار لا ينمو وأى جزء من الجسم يتعرض للإحتكاك المستمر سيعدم الإحساس فيه.

نفس الشئ الذى يحدث مع القلب ومع الميول الصالحة لديه لو أطلق الإنسان العنان لأحلام اليقظة أو

للقـراءة التـافـهـة أو للمـتع التى يريدها، فلو تعـرض الإنسـان للرياح مدة طويلة وخصوصـاً الرياح الرطبـة ثم إنتقل إلى مكان هادئ بعيداً عن الريح فإنه يشعر بأن كل شئ داخله ليس فى مكانه تمامـــاً. ونفس الشئ يحـدث فى النفس التى تستـغـرب نفـسـهـا بطريقـة أو بأخرى.

فعندما يعود الإنسان لنفسه من حالة تشتت الفكر يجد الشـاب كل شئ فى نفسـه قـد تغيـر وتبـدل. وأهم شئ يحـدث هو أن كل شئ صـالح قـد حـجب بسـتـر من النسيـان، بينما تقف فى المقدمة الأشياء الخادعة التى تركت إنطباعـاتهـا عليـه، وبالتـالى فـمـا كـان دائمـاً ولم يعـد له وجـود الآن هو التـغـيـر الذى طرأ على مـيـول الشـاب وأصـبـحت الميـول الجديدة تأخذ مكاناً متـقـدمـاً داخل نفسه.

فلماذا عندما تعود النفس إلى طبيعتها بعد تشتت

الفكر تبدو النفس متضايقة، هذا لأنها تشعر بأنها مسلوبة.

فالشخص الذى يحيا فى تشتت الروح، قد جعل من نفسه طريقاً سريعاً (كوبرى) تعبر من خلاله التجارب- من خلال الخيال- مثل الظلال وتجرب النفس وتدعوها لكى تتبعها. وهنا عندما يهم الإنسان بأن يتكلم ويبوح بما فى نفسه فإنه يبتعد عن نفسه ويبدأ الشيطان فى الإقتراب منه فى الخفاء لينزع البذرة الصالحة ويضع مكانها أخرى شريرة.

وهذا ما عمله لنا المخلص عندما فسر مثل الزارع وحدد الذى أخذ البذور التى سقطت على جانب الطريق وأيضاً التى إختنقت بالشوك، إنه عدو الجنس البشرى، هو فعل هذا وذاك .

وهكذا أيها الشاب هل تريد أن تحتفظ بنقاوة وبراءة

الطفولة؟ أو تستمر على نذر نفسك للحياة المسيحية بدون تراجع؟

إذاً حاول قدر طاقتك أن تبتعد عن الملذات الحسية والقراءات التافهة التى تدخل إليك التجارب وإبتعد عن أحلام اليقظة.

كم هو جيد أن يخضع الإنسان نفسه فى هذا الموضوع لقواعد خارقة أو حتى شديدة الصرامةوأن يكون خلال فترة الشباب كلها تحت إرشاد الآخرين.

فهؤلاء الشباب الذين لم يسمحوا بتدبير أمورهم الخاصة بأنفسهم (أى لم يعيشون مستقلين عن والديهم) حتى يصلوا لمرحلة البلوغ والنضج نستطيع أن ندعوهم سعداء، وكل شباب ينبغى أن يبتهج ويفرح لو وجد نفسه فى نفس هذه الظروف. وبمنتهى الوضوح فإن الشباب من الصعب عليه أن يصل لهذا بمفرده

ولكنه يستطيع أن يساعد نفسه إذا ما وثق وعمل بالنصيحة بأن يحاول أن يلزم بيته أو مكان عمله وأن يبتعد عن أحلام اليقظة وعن القراءات التافهة.

فليتجنب اللهو بحب العمل وليتجنب أحلام اليقظة بالإنشغال بأشياء جادة تحت قيادة حكيمة والقراءة ينبغى أن تخضع لهذا الإشراف أو القيادة فى إختيار الكتب من ناحية وفى طريقة القراءة من ناحية أخرى.

فليحاول كل شخص أن يدبر أموره بهذه الطريقة بقدر ما يستطيع ولكنه ينبغى أن يتم له هذا.

فالإنفعالات والشكوك والميول كلها أشياء تلهب خميرة القلق فى عقل الشاب.

٢- *الميل نحو الإختلاط بالآخرين.*

إن الميل الثانى لدى الشاب. والذى له نفس الخطورة

التى للميل - الأول وهو الميل للمؤثرات - هو الميل نحو الإختلاط بالآخرين ويتجلى فى الحاجة (أى حاجة الشاب) للصحبة والصداقة والحب - كل هذا- لو كان فى وضعه الصحيح يكون حسناً ولكن ليس الشاب هو الذى ينبغى أن يضع هذه الأشياء فى نصابها الصحيح.

إن سن الشباب هو الوقت الذى يحمل مشاعر الحياة والحيوية. إن هذه المشاعر فى قلب الشاب مثل حركة المد والجزر على شاطئ المحيط، فكل شئ يجذب إهتمامه وكل شئ يدهشه. إن كلاً من الطبيعة والمجتمع قد فتحا كنوزها أمامه.

ولكن هذه المشاعر لا تريد أن تختبئ داخل الشباب، بل إن الشاب يريد أن يشارك هذه المشاعر ولذا فهو فى إحتياج لشخص آخر يشاركة هذه المشاعر ربما يكون صديقاً أو رفيقاً. وهذا الإحتياج للصحبة هو فى حد ذاته شئ طيب ونبيل ولكنه من الممكن أن يكون فى

منتهى الخطورة، لأن الشخص الذى تبث لديه مشاعرك فإنك فى نفس الوقت تكون قد منحته شيئاً من الوصاية على نفسك.

فكم يجب على الإنسان أن يكون حذراً عند إختيار أصدقائه المقربين لأنك ربما تقابل شخصاً ما يستطيع أن يقودك بعيداً تماماً عن الطريق السليم. وغنى عن القول أن الصالح يجاهد لأجل الصالح ويتجنب الشر وهناك تذوق خاص لهذا داخل القلب. ولكن مرة ثانية نحن نقول -كم من مرة - إستمال وخدع المكر بساطة القلب.

هكذا نحن ننصح كل شاب نصيحة خالصة أن يكون حذراً فى إختيار صديقة، ومن الأفضل أن لا يعتبر أى شخص صديقة إلا بعد أن يختبره أولاً.

بل وإنه من الأفضل أن يكون أول صديق يتخذه الشاب مثله مثل الأب أو شخص - فى كثير من

الأمور - يكون فى مقام الوالد أو قريب صالح وله خبرة أوسع. وبالنسبة للإنسان الذى كرس نفسه لكى يحيا فى الطريق المسيحي، فإن أول صديق يعطية له الله هو أبوه الروحى، الذى يتحاور معه ويستطيع أن يودعه أسراره ويتأمل ما يقوله له ويتعلم منه، وتحت إرشاده بجانب الصلاة سوف يرسل له الله صديقاً آخر أيضاً لو كان هذا ضرورياً.

كما هو خطير فى الصداقة إختيار صديق سئ فإن الأخطر هو إختيار رفيق السوء، فنادراً ما نجد أصدقاء مخلصين بل غالباً ما نجد زملاء فى الفجور، وهنا ما أقرب وجود الشيطان وما أقرب تأثيرة.

هناك دوائر خاصة من الأصدقاء الذين يسلكون طرقاً رديئة جداً فى الحياة، وعندما ننجذب للحضيض معهم سوف لا تلاحظ كم أصبحت مرتبطاً بهم فى الروح، تماما كما أنك لو كنت في مكان ذو رائحة كريهة سوف لا

تلاحظ أنك أنت نفسك رائحتك كريهة. وهؤلاء الناس أنفسهم غالباً ما ينسون حذرهم ويندفعون إلى الفجور حتى يحيوا فيه بالكامل. وداخل هذه الدوائر من الأصدقاء حتى لوتنبه أحدهم فإنه ليس لديه القدرة على الخروج من هذا الفجور، فكل واحد منهم يخاف يخرج منه خوفاً من إستهزاء الآخرين لذا فهو يقول لنفسه (دع الأمور تسير كماهى فربما تمر بسلام). ولكن

"المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة"
١كو١٥:٣٣.

يارب حرر كل إنسان من غواية الشيطان هذه، لأنه لو أراد أى إنسان أن يحيا مع الرب فيجب أن يكون رفقاؤه فقط من الذين لديهم تقوى ونقاوة الذين يطلبون الرب. فيجب عليه أن يتجنب الآخرين ولا تكون له أى خلطة معهم متمثلاً بالقديسين الذين إتبعوا الله.

ثالثاً : كيف نتفهم الإنجذاب الجنسى:

إن قمة الخطر بالنسبة للشاب هو إحتكاكه بالجنس الآخر فبينما فى التجربة الأولى هو فقط يحيد عن الطريق المستقيم إلا أنه بالإضافة الى ذلك هو يخسر نفسه، فإن هذه الرغبة عندما تستيقظ لأول مرة تكون ممزوجة بالرغبة فى كل ما هو جميل. وهذه الرغبة منذ لحظة بدايتها تدفع الشاب دائماً لأن ينشد الإشباع منها.

وبالتدريج كل ما هو جميل يبدأ يأخذ حجماً أكبر فى نفسه لأنه لن يجد أى شئ آخر أجمل منه، ثم تنتقل هذه الصورة للجمال إلى عقل الشاب، ومن هنا فصاعداً يبدأ الشاب ينشد هذا الجمال الذي هو بالنسبة له مثالى وفى نفس الوقت تتقابل مع إنسان من الجنس الآخر ويُجرح.

والشاب بالذات ينبغى أن يهرب من هذا النوع من

الجروح أكثر من أى إنسان آخر لأنه مرض، وهو مرض أخطر ما فيه أن المريض به يريد أن يظل مريضاً به إلى نهاية المطاف أى إلى الجنون.

والآن. هل يستطيع الإنسان أن يتجنب هذا الجرح؟

نعم فلا تسلك الطريق التى تؤدى بك إلى الجرح.

وهنا نشرح هذا الطريق من الناحية النفسية. فهناك فى هذا الطريق ثلاث نقاط:

١- *الإحساس بالوحدة:*

فى البداية ينشأ لدى الشاب نوع من الإحساس المؤلم الذى لا يعرف كنهه ولايعرف أيضاً مصدرة. وهذا الإحساس يعبر عن نفسه بشعور خاص لدى الشاب بأنه إنسان وحيد، إنه الإحساس بالوحدة ومن هذا الإحساس بالوحدة مباشرة ينشأ إحساس آخر وهو إحساس بالشفقة والرثاء والألم والإهتمام بالنفس، بينما قبل هذا كان

الشاب يحيا كما لو لم يلاحظ نفسه قط. ولكن الآن قد تحول إلى نفسه ليفحص نفسه دائماً أنه ليس سيئاً أو أنه ليس أسوأ من الآخرين، إنه شخص ذو قيمة، إنه يبدأ يشعر بوسامته وبأوجه الجمال فى جسده، أو بمعنى آخر إنه راض عن نفسه، هنا يكون قد وصل لحدود المحاولة الأولى للتقرب إلى نفسه ومن هنا فصاعداً يبدأ الشاب يتجه نحو العالم الخارجى.

٢- *إقتناعة بأنه لابد أن يكون محبوباً لدى الآخرين:*

إن هذا الدخول إلى العالم الخارجى يصاحبه دائماً إقتناع من الشاب بأنه ينبغى أن يكون محبوباً لدى الآخرين، ومن هذه الفكرة والإعتقاد يبدأ الشاب أن يدخل فى مرحلة النشاط، وربما - ولأول مرة يحدد لنفسه قواعد لكى يكون أنيقاً ونظيفاً ومرتباً وأيضاً وسيماً - إنه يبدأ فى إستشارة رفقائه لكى يكون فى

أجمل صورة ليس لأجل غرض معين ولكن ما يواجهه هنا بسبب فعل خفى فى قلبه ينشد شيئاً ما.

وفى نفس الوقت فإن الشاب يحاول أن يظهر كم هو وسيم وكم هو محبب للآخرين فى إختلاطه معهم وكم هو طيب ولطيف وأن يظهر بصفة عامة بكل ما يريد أن يراه فيه الآخرين، وفى نفس الوقت فإنه يعطى الحرية الكاملة (المطلقة) لأول عضو يتلامس مع نفوس الأخرين ألا وهو العين.

٣- *الشاب يجد شيئاً ما يشعل مرضه:*

في هذه الحالة يكون الشاب مثل مسحوق قذيفة البندقية الذى يوضع مباشرة خلف الشرارة، وسرعان ما يجد شيئاً ما يشعل مرضه، مثل نظرة من العيون أو صوت يكون محبباً لديه، فيصيبه مثل السهم أو يجرحه مثل القذيفه، إنه يقف فى البداية كما لوكان فى

حالة ذهول أو إفتتان، وعندما يعود إلى نفسه ويسترد وعيه سوف يجد أن إهتمامه وقلبه يتجهان لهدف معين وينجذبان إليه بقوة لا تقاوم.

ومن هذا الوقت يبدأ القلب يتآكل من الإسترخاء، ويصبح الشاب متضايقاً، وينغمس في ذاته ويشغله شئ ما مهم ويبدو وكأنه يبحث عن شئ فقد منه، ولا يخطر على باله أفكار عن الطعام والشراب وينسى تماما نشاطاته المعتادة ثم يصل إلى حالة عدم إتزان، فليس هناك شيئاً عزيزاً لديه الآن.

إنه الآن مصاب بداء عضال إخترق قلبه ويعوق تنفسه ويجفف ينابيع حياته كلها، هذا هو المسار التدريجى للجرح الذى ينشأ لدى الشاب.

وغنى عن القول إن الشاب يجب أن يسلح نفسه ويحميها من السقوط فى الكارثة. فلا يجب أن يسير

على هذا الطريق، بل يبعد الأعراض التى تسبقة مثل الحزن والإحساس بالوحدة، ويذهب في طريق عكسه تماما، فلو شعرت أيها الشاب أنك حزين فلا تسلم نفسك للأحلام بل إبدأ بعمل شئ جاد يستحوذ على إهتمامك فستجد هذه المشاعر قد إنتهت، فلو إستيقظت داخلك مشاعر الشفقة علي نفسك أو إنتابك إحساس بأنك إنسان فاضل جداً فحاول أن ترعى نفسك وتبعد عنك هذه الأفكار بشئ من الحزم والتدريب مع نفسك خاصة بأن توضح لنفسك عدم جدوى هذه الأفكار التى ترد إلى ذهنك، وأعط لنفسك فرصة أن تقلل من شأنها أو بشئ من التواضع الذى يكون في هذه الحالة مثل الماء الذى يصب على النار ليخمدها.

فينبغى على المرء أن يكون حذراً ويثبط هذا الإحساس ويبعده وخاصة أنه بداية لكل التطورات التى تليه. فلو أوقفته عند هذه النقطة سوف لا تذهب لأبعد من هذا، سوف لا تكون لديك لا الرغبة فى أن تكون

محبباً للآخرين ولا الإتجاه لأن تبرز أفضل ثيابك ولا الرغبة فى أن تكون بالخارج بصفة مستمرة فلو هاجمتك هذه المشاعر حاربها.

إن أفضل حماية فى هذه الحالة هى الإقتناع التام فى كل شئ بتحرر الجسد وبالأكثر تحر العقل، حاول أن تزيد من دراساتك وإجلس فى بيتك ولا تسلم نفسك للهو والعبث، ولو كان من الضرورة أن تخرج فحاول أن تتجنب الجنس الآخر. والشئ الأساسى هو الصلاة.

رابعاً: صفتان تتعلقان بالشباب:

بجانب هذه المخاطر التي تأتى من سمات سن الشباب هناك صفتان أخريتان بالإضافة إلى ما سبق:

١ – فأول كل شئ هناك النظرة المبالغ فيها للمعرفة العقلية أو الفهم الشخصى لعقل الإنسان وهذه النظرة ترفع المعرفة العقلية إلى السماء من فرط المبالغة فيها،

والشاب يعتبرها أنها تخول له أن يلقى ظلالاً من الشك على كل شئ وأن يترك جانباً كل شئ لا يتوائم مع القياس الذى وضعه له من تفكيره وفهمه الخاص، بهذا فقط يقطع الشاب من قلبه كل العقائد التى نشأت فيه عن الإيمان والكنيسة وهكذا يظل الشاب وحيداً تماماً.

ويبدأ الشاب يبحث عن بديل لما نحاه جانباً فيبدأ يلقى بنفسه إلى نظريات جديدة مصطنعة ولا تعتمد على أى أساس من الإيمان الأقدس فيبدأ يتعايش مع هذه النظريات الجديدة ويبعد عن عقله كل حقائق الإيمان السليم.

وتكون الكارثة أكبر لو تهيأت المناسبة لظهور هذه النظريات فى المدرسة ولو كانت هذه الروح هى التى تسود جو المدرسة والتعليم، والناس هذه الأيام تريد أن تقتنى الحقيقة والإيمان ولكنها فى سبيل ذلك تضم أفكاراً مشوشة إلي بعضها البعض فهى أفكار تافهة ومستحدثة وفى أغلب الأحيان تتعارض مع الذوق

العام وما هو متعارف عليه من قيم وتقاليد- ولكن للأسف - هذه الأفكار تجذب الناس عديمى الخبرة والمعرفة وتصبح نموذجاً يحتذى به الشاب الذى لديه دائماً حب إستطلاع عظيم.

٢- وثانياً هناك النظرة العالمية، التى هى ربما تبدو للشباب مفيدة فلو تملك هذا الفكر على الشاب فإنه يكون مدمراً، ومن مظاهره أن الشاب يحيا حياته طبقاً لإنطباعات حواسه هو فى حالة دائماً ما يشعر فيها بأنه ضئيل داخل نفسه لهذا فهو يعيش خارج نفسه سواء فى الحقيقة أو فى الأحلام.

فبهذه النظرة يكره الإنسان الحياة الداخلية ويكره هؤلاء الذين يتحدثون عنها وهؤلاء الذين يحيون فيها.

فالمسيحيون الحقيقيون بالنسبة للشباب هم أناس يكتنفهم الغموض لأن لهم أفكار مشوشة أو هم أناس مراؤون.

ويكون فهمهم للحقيقة معطلاً بسبب روح العالم التى تسود دوائر الحياة العالمية التى يسمح الشاب لنفسه أن يخوضها بدون أى معوقات بل وينصحه بعض الناس بأن يخوض الحياة العالمية ويجربها. فمن خلال الإختلاط بالعالم، سوف يصب العالم كل المعتقدات المضطربة والمشوشة والعادات السيئة فى نفس الشاب التى تتلقى كل شئ وتستقبل كل شئ لأنه لم يحذره أحد ولم يعد جيداً ليواجه كل هذه الأمور. إنه بدأ لتوه يكون فكرة عامة عن الحياة ومن ثم سوف تنطبع عليه هذه الروح العالمية كما تنطبع الصورة على الشمع ليصبح فى النهاية لا إرادياً إبناً لهذه الأفكار والمعتقدات العالمية، ولكى يكون إبناً للعالم فقد أصبح على النقيض تماماً من إبن الله فى المسيح يسوع.

والآن هذه هى الأخطار التى تحيط بالشاب فى بداية مرحلة شبابه وكيف تكون صعوبة مقاومة هذه الأفكار.

ولكن بالنسبة للشاب الذى تربى جيداً وقرر أن يكرس نفسه لله قبل بداية سنى شبابه، فإن سن الشباب لا يكون خطراً عليه إلى هذا الحد، فإنه يحتاج أن يعانى قليلاً وبعدها ينعم بحياة نقية مباركة، فقط عليه أن يحافظ على نذره بحياة مسيحية نقية خلال هذه المرحلة من حياته وبعدها سوف يحيا فى قداسة خاصة وثبات.

فأى إنسان إجتاز مرحلة الشباب بدون أخطار - كما لو كان قد أبحر بقاربه فى نهر عاصف - ثم ينظر خلفه إلى كل هذا بعد أن يجتازه عليه أن يشكر الله ويباركه، ولكن يوجد شخص آخر يلتفت خلفه - والدموع تملأ عينيه - ويلوم نفسه بأنه لن يمكنه أن يعوض ما فاته خلال فترة شبابه.

وهل يدرك الإنسان الذى سقط ما فقده إطلاقاً أو ما قد ربحه الإنسان الذى لم يسقط؟



الفصل السادس

الإنسان المسيحى الناضج

أولاً : كيف تبدأ الحياة المسيحية داخلنا.

ثانياً: حرارة الروح.

✝

الفصل السادس

الإنسان المسيحى الناضج

من الممكن أن نصف الأحساسيس والسلوك التى يجب أن يكون عليها الإنسان المسيحى. ولكن هذا بعيد جداً عن أن يكون هو كل ما يطلب من الإنسان لخلاص نفسه. فالأهم بالنسبة لنا هو أن نحيا حياة حقيقية بروح المسيح. وما هى مقومات هذه الحياة الحقيقية مع المسيح، وما هى معوقات نجاح كل مرحلة من مراحل حياتنا المسيحية.

حقيقة نحن نعرف هدفنا الأخير وهو الإتحاد بالله،

ونستطيع أن نحدد الطريق لبلوغ هذا الهدف ألا وهو الإيمان وتنفيذ الوصايا بمعونة ونعمة الروح القدس. فما علينا إلا أن نقول هذا هو الطريق فلنبدأ بالسير فيه.

من السهل أن نقول هذا ولكن كيف السبيل إلى تنفيذه؟

لأننا نفتقد أهم شئ فيه وهو الرغبة العميقة للوصول لهذا الهدف.

فالنفس وقد تعلقت ببعض الرغبات والشهوات تصد بشدة كل نداء للخلاص. والعين تحولت عن الله ولا تريد أن تنظره. لم يعد الإنسان يجد أن وصايا المسيح تلائمه بل لا توجد الرغبة فى سماعها.

وقد يتساءل الإنسان كيف يستطيع أن تولد الرغبة فى السير فى طريق الله عن طريق المسيح؟ ماذا

يستطيع الإنسان عمله لكى تنطبع الوصايا على القلب؟ ووقتها سوف ينفذ الإنسان الوصايا وكأنها نابعة من قلبة ومن عقله وليس كأنها وصايا آتية من الخارج وعليه تنفيذها.

ولكن لنفرض أن هناك إنساناً تحول إلى طريق الله وأنه أحب وصاياه، فهل هذا التحول الكامل نحو الله والسير فى طريق وصاياه ضرورى وحتمى، وهل سينجح هذا الإنسان فى طريقه لأن هذه هى رغبتنا حياله؟ لا فبجانب الرغبة فى النجاح فى طريق الله يجب أن تكون هناك القوة (قوة الإرادة) والمعرفة الكافية عن كيفية السلوك. أى أن يكون لدى الإنسان الحكمة الإيجابية.

فأى إنسان سلك الطريق الصحيح نحو الله، أو إتجه كلية نحو تنفيذ وصايا الله بمعونة ونعمة الروح القدس

لابد أن يواجـه خطراً، أن يضل طريقـه عند مـفـارق الطريق. ومن الخطر أن يتصور نفسه وقد تم له الخلاص الأبدى. ومفارق الطريق هذه لا يمكن تحاشيها أو تجنبها بسبب ميل الإنسان للخطية وبسبب إختلاف قدرات كل إنسان عن الآخر. وتكون النتيجة أن يضل الإنسان طريقة وربما تؤدى إلى تدميره. ويضاف لهذا أيضاً نفاق الشيطان الذى يرفض أن يدع ضحاياه وشأنهم. وعندما يتركه إنسان من مملكته وينجذب لنور المسيح فإنه لا يمل من تحريض هذا الإنسان وإغوائه بكل الطرق لكيما يجذبه إلى مملكته ثانية، وغالباً ما تكون النتيجة فى صالحة ويجذب الإنسان الى مملكته مرة أخرى.

وهكذا يتعين على أى إنسان يرغب السير فى طريق الرب المستقيم أن يتعرف على الإنحرافات التى يمكن أن تقابله فى طريقه، وهكذا يتم تحذير المسافر مسبقاً

من العقبات التى يمكن أن تواجهه فيستطيع أن يرى المخاطر التى يجب عليه أن يجوزها وربما يعرف وقتها كيف يتفادى هذه المخاطر.

وهذه العقبات العامة التى يصعب تجنبها لأى شخص يسلك طريق الخلاص جعلت هناك قواعد إرشادية للحياة المسيحية الصحيحة. ومن خلال هذه القواعد نستطيع أن نسلك طريق الخلاص ونتحد مع الله بدون أن نضل طريقه عند مفترق الطرق التى نمر بها فى كل مرحلة من طريق الله. وبعبارة أخرى فإننا من خلال هذه القواعد نستطيع أن نبدأ نحيا الحياة المسيحية السليمة، وبعد البداية يستطيع أن يقوم الإنسان طريقه فيها بإستمرار.

وتختلف نشأة ونمو الحياة المسيحية عن نشأة ونمو الحياة العادية للبشر، وذلك يرجع للخصوصية الشديدة

التى تتميز بها الحياة المسيحية وعلاقتها بحياتنا العادية. فالإنسان لا يولد مسيحياً ولكنه يصبح مسيحياً بعد الميلاد (بالمعمودية) أى أن بذرة المسيح تسقط على تربة القلب الذى بدأ ينبض بالحياة.

فالحياة تبدأ فى النبات من البذرة وتستمر فى النمو كما لو كانت مدفوعة بقوة خفية. هكذا فبداية الحياة المسيحية الحقة للإنسان هى عملية إعادة خلق له وتفجر قوى جديدة داخلة ليبدأ بها حياة جديدة وذلك عن طريق سر المعمودية المقدس.

وفوق هذا لنفرض أن المسيحية تكتسب مع الحياة العادية وخلق الإنسان ليحيا حياة مسيحية، فإن بذرة الحياة المسيحية هذه لن تكون محاطة بظروف مناسبة لنموها وحياتها داخل الإنسان. وبجانب هذا فإن الإنسان ككل (جسداً وروحاً) يظل غير متأقلم على

هذه الحياة الجديدة التى يجب أن يحياها مع المسيح. ومنذ هذه اللحظة سوف يبدأ الإنسان بجدية أن يتعلم ويعرف نفسه ككل ويتعرف على قدراته من المنظور المسيحى.

وهذا يفسر لنا لماذا هذا الإختلاف بين نمو النبات ونمو الحياة المسيحية. فبينما يبدو نمو النبات عملية طبيعية تدريجية سهلة لا يعترضها شئ، تبدو على النقيض الحياة المسيحية وكأنها معركة بين الإنسان ونفسه لابد للإنسان فيها أن يجد ويكدح ويتشدد ويجب عليه أن يوظف كل قدراته فيها لكى لا تعترضه مقومات تجنح به بعيداً عن طريق الله. مثل الجندى الذى يجب عليه أن يحمى كل شبر من أرضه من العدو باليقظة التامة وبالسيف ذى الحدين، أى يسلح نفسه ويقاوم نفسه فى وقت واحد.

وفى النهاية، بعد الكثير من الجهاد والتعب سوف تنجلى لنا المبادئ المسيحية بدون مقاومة تذكر. فتخترق هذه المبادئ التكوين الكلى لطبيعة الإنسان وتطرد منه كل الرغبات والميول الشريرة التى تعترض معها وتصل بالإنسان لحالة النقاوة الكاملة بدون أى شهوات حيث تجعل القلب فى طهارة كاملة يستطيع بها أن يعاين الله داخله لأنه يكون متحداً به.

هذا هو مكان الحياة المسيحية داخلنا. ويمكننا أن نقسم هذه الحياة إلى مراحل ثلاث هى:-

١- التحول نحو الله.

٢- النقاوة أو إصلاح الذات.

٣- التكريس.

ففى المرحلة الأولى يتحول الإنسان من الظلمة إلى

النور، من مملكة الشيطان إلى الله. وفى المرحلة الثانية ينقى الإنسان قلبه من كل الشهوات، لكيما يستقبل المسيح الرب الذى يأتى إليه. وفى المرحلة الثالثة يأتى الرب ويأخذ مكانه فى القلب ويتحد بالإنسان. وهذه هى مرحلةالإتحاد المبارك مع الله الذى هو الهدف من كل جهاد وزهد وتقشف.

أولاً : كيف تبدأ الحياة المسيحية داخلنا؟

يجب أن يكون واضحاً لدينا متى وكيف تبدأ الحياة المسيحية الحقة لكيما نعرف هل توجد هذه الحياة داخلنا بالفعل أم لا. فإن لم تكن لنا هذه الحياة المسيحية الحقيقية، يجب علينا أن نتعلم كيف نبدأها لأن بدايتها تعتمد إلى حد بعيد علينا نحن أنفسنا.

فليس من علامات الحياة الحقيقية فى المسيح أن يدعو الإنسان نفسه مسيحياً وأنه ينتمى إلى كنيسة المسيح.

"ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات. مت٧:٢١.

"لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائليون" رو٩:٦.

فربما يكون الإنسان ضمن تعداد المسيحين ولكنه ليس مسيحياً، كل شخص يعرف هذا جيداً.

فهناك لحظة معينة مميزة جداً خلال تاريخ حياتنا يبدأ فيها الإنسان أن يسلك طريق المسيح، وهى اللحظة التى تولد لدى الإنسان الصفات المميزة للحياة المسيحية. فالحياة المسيحية فيها حرارة وحماس

وتستمد القوة - لكى تظل مستمدة بالله - من تنفيذ إرادته المقدسة على حسب إيماننا بالرب يسوع المسيح وبمعونة نعمة الله لمجد إسمه القدوس.

فجوهر الحياة المسيحية هو الإتحاد بالله فى المسيح يسوع ربنا، وهذا الإتحاد بالله يكون فى أول الأمر مخفياً ليس فقط عن الآخرين بل يكون مخفياً أيضاً عن الشخص نفسه.

والبرهان على الحياة المسيحية الذى يمكن أن نراه أو نشعر به داخلنا هو الرغبة الحارة أن نرضى الله وحده بطريقة مسيحية يضحى فيها الإنسان بنفسه وبكل شئ يمكن أن يتعارض مع ذلك. وهكذا عندما تبدأ هذه الرغبة الحارة سوف تبدأ معها الحياة المسيحية. والشخص الذى توجد لديه هذه الرغبة متجددة دائماً هو الذى يكون فى حياة مسيحية حقة.

وهنا يجب أن نتوقف ونوجه مزيداً من الإهتمام بهذه الصفات المميزه للحياة المسيحية.

"جئت لألقى ناراً على الأرض. فماذا أريد لو إضطرمت؟" لو١٢:٤٩.

فإنه يتحدث هنا عن الحياة المسيحية. وهو يقول هذا لأن الدليل الواضح عليها هو الرغبة القوية لإرضاء الله التى تملأ القلب بروح الله.

هذه الرغبة مثل النار، وكما أن النار تلتهم المادة التى تشتعل بها هكذا فإن الرغبة فى الحياة مع المسيح تلتهم النفس التى تشتاق إليها. وكما أنه فى وقت النار يشتعل اللهب في كل المبنى هكذا فإن نار الرغبة فى الحياة المسيحية متى أدركت الإنسان فإنها تتشعب وتملأ كيانه كله.

وفى موضوع آخر يقول الرب "لأن كل واحد يملح بنار" مر٩:٤٩ - وهذه أيضاً علامة على نار الروح التى تخترق كياننا كله بالرغبة الحارة، تماما مثل الملح الذى يخترق المادة فيحفظها من التحلل، هكذا أيضاً روح الرغبة الروحية تخترق كياننا كله فتطرد الخطية التى تشوه طبيعتنا روحياً وجسدياً بل إنها تطرد أى شائبة صغيرة رسبت داخلنا وهكذا تحفظنا من الموت والفساد.

ويطلب منا بولس الرسول "لا تطفئوا الروح" اتس ٥:١٩ – و "غير متكاسلين فى الإجتهاد حارين فى الروح عابدين الرب" رو١٢:١١.

إنه يطلب ذلك من كل المسيحيين لعل وعسى أن نتذكر أن حرارة الروح أو الكفاح والجهاد بغير توانٍ هو جزء لا يتجزأ من الحياة المسيحية.

وفى موضوع آخر يتحدث بولس الرسول عن نفسه هكذا "ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع" فى ٣:١٣-١٤. ويقول لآخرين "هكذا إركضوا لكى تنالوا" ١ كو ٩:٢٤.

. وهذا يعنى أنه فى الحياة المسيحية تكون نتيجة حرارة الرغبة حياة ونمو للروح حيث يمارس الناس خلالها الأعمال التى ترضى الله فينتصر الإنسان على نفسه ويضحى بكامل إرادته فى سبيل الله بحريته وبكل ما لديه بدون أن يشعر أنه يضحى بشئ.

ولدينا قاعدة صلبة لفهم هذه النقطة وهى أنه من السهل على الإنسان أن يتبع تعاليم وقوانين الكنيسة كما لو كانت عمل روتينى نعمله بعقولنا أو كما لو

كانت سلوكاً سليماً من المفروض أن نتبعه. ولكن كل هذا لا يدل على أن الحياة المسيحية الحقيقية موجودة داخلنا.

فكل هذا حسن ولكن طالما أنه لا يشعل الروح للحياة مع المسيح يسوع، إذاً فليس له فائدة روحية. وسوف تصبح كل هذه الأشياء مثل تمثال عديم الروح. فالساعات الجيدة تعمل بكفاءة ولكن من ذا الذى يستطيع أن يقول أن فيها حياة؟ إنه نفس الشئ هنا "أنا عارف أعمالك أن لك إسماً أنك حى وأنت ميت" رؤ ٣:١.

فهذا السلوك الجيد للإنسان بدون روح هو من أكثر الأشياء التى يمكن أن تخدعه. وتعتمد دلالة هذا السلوك على النيات الداخلية للانسان وهل لديه الرغبة فى التحرك عن كل ما هو ضد الحق؟

وهكذا بينما يتحرر الإنسان من الرغبات الشريرة فإنه في نفس الوقت ينجذب إليها وينجس القلب. وبينما يقوم الإنسان بأعمال صالحة إلا أن قلبه ليس مع هذا الصلاح. فقط الرغبة الحقيقية للحياة المسيحية هي التي تمنحنا الرغبة أن نفعل الصلاح بكل نقاوة. وأيضاً تطهرنا من الخطية إلى أبعد حد ممكن.

فهذه الرغبة هي التي تجعل الفضيلة هي خبز يومنا. وهي التي تحارب الخطية كعدو قاتل لنا.

فالعدو يكره عدوه، ليس فقط يكره شخصه بل إنه يكره كل أقاربه وأصدقائه بل ويكره كل ما يتعلق به، فهو مثلاً يكره اللون الذي يفضله عدوه ويكره كل ما يذكره بعدوه. هكذا الرغبة الحقيقية لإرضاء الله تحارب وتزيل الخطية حتى في أبسط صورها أو علاماتها لأنها ترغب في أن تكون في حالة مقاومة كاملة. فإن لم

توجد، فكم من الشوائب التى تختبئ فى القلب يجب إزالتها.

ثانياً: حرارة الروح:

أى نجاح يمكن أن نتوقعه إن لم توجد داخل الإنسان الرغبة الحارة لإرضاء الله فى كل شئ؟ فأى أمر يخلو من الإرادة الحرة يكون الإنسان مستعداً أن يقوم به ولكن بمجرد أن يتطلب الأمر مزيداً من قوة الإرادة أو مزيداً من التضحية بالنفس فسرعان ما يرفض الإنسان هذا الأمر لأنه ليس لديه الحماس الكافى أصلاً للقيام به. فسوف يشفق الإنسان على نفسه من هذا التعب. فلو ظهر أى عائق فى طريقه فإنه سوف يزيد الأمر سوءً.

إن أتباع موسى قد تقلصوا لأنهم كانوا خائفين ولكن الشهداء كانوا يذهبون للموت بكامل إرادتهم

لأنه كـانت تشـتـعل نار داخلهم. فـالإنسـان الذى لديه الرغـبـة الحـارة لا ينفـذ الوصـايا فـقط بل إنه ينفـذ أى مشورة توجه إليه متبعاً أى نصيحة تنقش فى الخفاء على روحه. أيضاً فإنه ليس فقط يستغل مواهبه التى أعطيت له بل هو دائماً يستحدث فى نفسه إمكانيات جديدة ويكتسب فضائل جديدة ويصبح لديه القاعدة الصلبة الحقيقية والأبدية لكل فضيلة.

يقـول القـديس يوحنا فم الذهب «يجب أن تكون لدينا دائماً حرارة وإشتعال الروح لنتسلح ضد الموت نفسه، وإلا فلن يكون ممكناً أن ندخل الملكوت».

إن التدين الصحيح والإتحاد بالله هو مزيج من الجهاد والألم وخاصة فى بدايته. فمن أين لنا هذه القوة التى نخوض بها هذا الجهاد؟ بنعمة الله ممكن أن نجدها فى القلب المملوء بالرغبة الحارة لهذا الإتحاد بالله.

إن عــمل التــاجــر والجندى والحــاكم والمدرس كلهــا أعـمـال تتطلب حـذراً وتحـتـوى علي صـعـوبات. فكيف يسـتـمر هؤلاء فى كفـاحهم المتـواصل هذا؟ إنه الحـماس وحب العـمل. هكذا الإنسان لا يسـتطيع أن يسـتـمر فى طريقه للتقوى إلا بهذين الشيئين فبدونهما نخدم الرب ولكن بفتور وملل وبدون شوق لخدمته.

إن الحيـوان الكسلان يتحرك بصعوبة، علي عكس الغـزال البـرى مـثـلاً الذى يتـحـرك بخـفـة ورشاقـة. فـإن طريق الإنسـان الذى لديه الحماس والرغـبة الحارة للإتحاد بالله ولإرضاء الله يكون مملوءً بالتعزية حتى أنه يعطى للروح أجنحـة تطيـر بهـا. وبدون هذا الحـمـاس والرغـبـة فإن الإنسان يدمر كل شئ.

فـالإنسـان يجب أن يفـعل أى شئ لمجـد الله لمقـاومـة الخطيـة التى تخـتـرقنا، لا أن يفـعل كل شئ حسـب مـا

تعود لأنه يخيل له أن هذا هو الصحيح، وللأسف فإن هذا مايحدث فى الواقع أو هذا هو ما يحدث مع غالبية الناس.

ولكن نحن يجب علينا أن نفعل كا ما نستطيع أن نفعله وإلا سنجد أنفسنا نفعل بعض الأشياء ونهمل بعض الأشياء الأخرى بدون أى معرفة بالجانب الذى أهملناه وأهميته. إذاً يجب أن تكون أعمالنا (الروحية) مبنيه على اليقظة والحرص كأنها عملنا الرئيسى وإلا سيكون كل شئ بإرتجال كيفما إتفق.

وهكذا يكون من الواضح إنه بدون حرارة الروح والرغبة فإن المسيحي يكون فقيراً فى مسيحيته، أى أنه يكون متردداً وبدون حيوية ليس حاراً ولا بارداً، وهذا النوع من الحياة لا يعتبر حياة أصلاً.

وبعد أن أدركنا هذا ليتنا تكون لدينا الحرارة

والرغبة الصادقة لإكتساب الفضائل فبهذا ربما نرضى الله بالحقيقة بدون أى شئ ولو بسيط يلوث هذه الفضائل.

إذاً عماد الحياة المسيحية وأساسها هو نار الرغبة الحارة لإرضاء الله، وهنا يبرز السؤال الهام: كيف لهذه النار أن تشتعل؟ ومن الذى يوقدها؟

توقد هذه الرغبة الحارة بعمل النعمة. ولكنها لا تنشأ أبداً بدون إرادة حرة منا. لأن الحياة المسيحية ليست حياة طبيعية تمضى بالسليقة (بدون تدخل منا) ولكن لها نقطة بداية تنشأ عنها ثم تمضى وتستمر. تماما مثل ما يحدث فى البذره فى النبات حيث يبدأ نمو النبات حينما تصل الحرارة والماء للبذور المدفونة ومن خلال هذا تأتى كل قوى الحياة لينمو النبات. وهكذا فينا نحن أيضاً فإن الحياة المقدسة تبدأ عندما تخترق

روح الله قلوبنا ليضع فينا بذرة الحياة، وبدايتها هو أن تبدأ الروح فى إزالة ما علق بصورة الله ومثاله.

إذاً فالأرادة الحرة تخلق الرغبة أولاً وهوعمل إيجابى لأنه من لا شئ تصدر الرغبة **ثم تحل النعمة علينا من خلال الأسرار المقدسة، ثم تتحد النعمة مع حريتنا لتخلق حرارة فى الروح ورغبة حارة للحياة المسيحية.**

ولكن لا يظن أحد أنه يستطيع أن يخلق هذه القوة للحياة المسيحية من تلقاء نفسه، **بل يجب أن يصلى الإنسان من أجل أن ينالها ويجب أن يكون مستعداً لإستقبالها.** إذاً هذه هى نعمة الرب علينا. هى نار حرارة الروح مع قوة الله العظيمة.

وعندما يهبط روح الله علي القلب يبدأ يعمل فيه برغبة حارة وحماس وغيرة روحية.

وقد ينشأ لدى البعض هذا التساؤل «وهل هناك ضرورة لوجود هذه النعمة من عند الله أولاً؟ « وهل نحن لا يمكن أن نصنع الفضيلة من تلقاء أنفسنا؟ »

بل نحن نفعل هذه الفضائل وعندما تمتد بنا الحياة سوف نعمل فضائل أخرى. والبعض يقولون أننا لا نستطيع أن نعمل الخير من تلقاء أنفسنا، ولكن السؤال هنا ليس فقط عن قدرتنا على خلق هذه الفضائل فى أنفسنا، بل عن قدرتنا على تجديد حياتنا وقدرتنا على الحياة التى تقودنا إلى خلاص أنفسنا.

وكحقيقة مؤكدة نستطيع أن نقول إنه ليس من الصعب أن نصنع خيراً، كما كان يفعل عبدة الأوثان. ولكن دع أى إنسان يضع لنفسه خطاً فى الحياة أن يستمر فى فعل الخير بما يتناسب مع وصايا الله ولكن ليس لمدة شهر أو سنة ولكن على مدى حياة الإنسان كلها. وإنتظر النتيجة، فإن ظل يؤمن أنه بقوته

يستطيع أن يواصل الخير طيلة حياته، ففى هذه الحالة يجب أن نسكت. إذاً ليس هناك كلام أو رد على هذا!!

فكم من أناس كانوا مملوئين من الثقة فى الماضى والحاضر أنهم يستطيعون أن يبدأوا وينموا فى الحياة المسيحية بمفردهم ثم إنتهوا جميعاً ولا يزالون سائرين نحو النهاية إلى لا شئ.

فالإنسان يبنى قليلاً فى حياته الجديدة ثم لا يلبث أن يغتر ويتراجع فكيف لا يكون هكذا؟ فليس لديه القوة!! إذ أن هذه القوة الأبدية التى يستمدها فقط من الله لكى تحفظنا بدون تغيير بين أمواج الحياة. فلهذا يجب على الإنسان أن يملأ نفسه بهذه القوة وأن يطلبها لكى ينالها وهى التى سوف تحفظنا وترفعنا فوق تقلبات الحياة الأرضية.



كيف نحافظ على نعمة الله

أولاً : عندما تكون التربية ضعيفة.

ثانياً: الإنحراف عن مسار التربية.

ثالثاً : تصحيح المسار.

✝

الفصل السابع

كيف نحافظ على نعمة الله

منذ بداية الحديث وحتى الآن يستطيع المرأ أن يفهم لماذا يحتفظ قليل من الناس فقط بنعمة المعمودية؟! فالتربية هي سبب كل شئ سواء كانت جيدة أم شريرة.

أولاً : عندما تكون التربية ضعيفة:

إن السبب في عدم الإحتفاظ بنعمة المعمودية هو القواعد والقوانين التي إستخدمت في تربية النشئ وأدت به إلى هذه النهاية. ومن أهم الأسباب:-

١- الإبتعاد عن الكنيسة وعن وسائط النعمة بها.

وهذا يؤدى إلى جفاف بذرة الحياة المسيحية وذبولها بفصلها عن مصادرها وينابيعها فتذبل مثل الزهرةالتى تذبل إذا ما وضعت في مكان حار.

٢- الفشل فى درء خطر الطبيعة البشرية:

يعتقد الناس أن الجسد سوف ينمو بأى وسيلة بدون أى خطر على الروح، بينما فى الواقع فإن الأشخاص الجسديين هم المكان المفضل لشتى الرغبات الشريرة التى تنشأ وتترعرع وتمد جذورها فى الروح وتستعبدها، فالرغبات تخترق الأشخاص الجسديين وتحتل مكانها فيهم وتستقر داخلهم وتكون نفوسهم لهذه الرغبات مثل بستان يرتعون فيه ويؤمنون أنفسهم ضد أى مقاومة وتأتى فى أى وقت لتقتلعهم.

٣- نمو قدرات الروح بدون أن توجه التوجيه السليم أو بدون أن توجه نحو هدف محدد. فالناس لا ترى الهدف البعيد ومن ثم هى لا ترى الطريق المؤدى إلى الهدف، ومن هنا فإن الغالبية تنحى جانباً التعليم المفيد ولا تعمل أكثر من تنمية حب الإستطلاع فى نفوسهم مع نمو الإرادة الذاتية مع تعطش لشتى الملذات.

٤- النسيان الكامل للروح وإحتياجاتها:

الصلاة ومخافة الله ومراعاة الضمير، كل هذا لا يؤخذ فى الإعتبار، فلو كانت الظروف المحيطة بالإنسان لا تساعد على تنمية البذرة الصالحة فى داخله، ففى ذلك الوقت فإن الشئ المهم جداً يطغى عليه أشياء ثانوية والشئ المطلوب وهو الحياة المسيحية يختبئ خلف ضلال أشياء كثيرة عالمية.

٥- أخيراً الإعتقاد القوى بضرورة التعليم العالمى وأن يسلم الإنسان نفسه للعالم بما فيه من أفكار حديثة وقوانين وعادات عالمية.

فكل هذه الأشياء غير محببة إطلاقاً لحياة النعمة بل إنها دائماً ما تمد أذرعها وتتطفل عليها حتي تخنقها. كيف يحدث هذا ؟ يحدث عندما يدخل الإنسان إلى مرحلة الشباب بدون أن يتم وضع قواعد الفضيلة داخله قبل ذلك وبدون أن يقرر مسبقاً أن يحيا بطريقة مسيحية، وفوق هذا يحدث عندما لا يقاوم الإنسان إغراءات الحياة الشبابية بطريقة سليمة بل عندما يسلم نفسه للعطش لكل الإنطباعات والمسرات وللهو والمؤثرات وللقراءات السطحية، وإذكاء الخيال بالأوهام المختلفة والإختلاط بمن هم على شاكلته وخاصة من الجنس الآخر.

فكل واحد من هذه الأسباب، أو حتى أحدها فقط كافياً لكى يخنق حياة النعمتداخل الشاب، ولكن الذى يحدث فى أغلب الأحيان هو تكاتف هذه الأسباب سوياً وكل سبب منها ينشط الآخر فتتعاون معا فى توقف الحياة الروحية التى لا يظهر منها حتى ولو جزء ضئيل فيكون الإنسان كأنه ليس له روح على الإطلاق وكأنه لم يخلق لكى يتحد مع الله، وكأنه ليس لديه القدرات التى تؤهله لطريق الله وكأنه لم تحل عليه النعمة التى تهبه الحياة.

إن السبب فى عدم وجود التربية بالصورة السليمة إما أن يكون الجهل بهذه الطريقة السليمة أو أن يكون بسبب الإهمال، فالتربية التي تترك لشأنها بدون توجيه أو إهتمام سوف تتخذ إتجاها مضطرباً وخاطئاً ومضراً فى البداية للحياة داخل البيت ثم بعد ذلك خلال فترة الدراسة.

ولكن حتى لو تترك عملية التربية لشأنها بدون إهتمام ولو خضعت للقواعد المتعارف عليها فإنها تتحول سريعاً إلى تربية عديمة الثمار وتنحرف عن الهدف بسبب الأفكار الخاطئة والقواعد الضعيفة التى بنيت عليها ، فلم يوضع فى الإعتبار الشئ الرئيسى وهو إرضاء الله وخلاص النفس بل يكون الإهتمام بشئ أخر مختلفاً إنما نحو القدرات الطبيعية فى الإنسان أو التركيز على مركز مرموق أو إعداد الإنسان نفسه لكى يحيا فى العالم. ولكن عندما تكون البداية غير نقية وخاطئة فلا يمكن أن ما يبنى عليها يكون شيئاً حسناً.

ثانياً: الإنحراف عن مسار التربية الصحيح:

من أهم أسباب الإنحراف عن المسار الصحيح للتربية هو:

١ - الإبتعاد عن وسائط النعمة: هذا هو النتاج الطبيعى عندما ينسى الإنسان حقيقة أنه أصبح إنساناً مسيحياً وليس إنساناً فقط عادياً بل هو إنسان يتمتع بالنعمة وقوتها، فبدون وسائط النعمة هذه يصبح الشخص المسيحى بدون أسلحة يدافع بها عن نفسه فيحاربه الشيطان ويحطمه بعواصف الخطية والعالم بدون إرشاد أى أحد أو أى شئ يعود به إلى رشده ويدرأ عنه هذه الأفكار.

٢ - لأن الإعداد أساساً منصب على السعادة فى الحياة الحاضرة بينما التفكير فى الحياة الأبدية متروك جانباً، فهذا هو ما تتحدث فيه الأسرة (الحياة الحاضرة) وما يدور حوله النشاط فى الفصل الدراسى وهو الموضوع الرئيسى فى الأحاديث العادية.

٣- أن تطفئ الحياة الخارجية والسطحية كل شئ بدون إستثناء حتى عمل الكهنوت: فلم لو يتم إعداد الشخص فى المنزل بالطريقة السليمة فى التربية فإنه سوف يكون مشوش العقل وسوف ينظر لكل شئ نظرة غير سليمة، وسوف يرى كل شئ بطريقة ملتوية من خلال معتقدات خاطئة وناقصة، وهكذا فإنه حتى لا يريد أن يسمع عن الهدف النهائى لحياته أو وسائل بلوغ هذا الهدف، فكل هذا بالنسبة له مسائل ثانوية لا ينبغى أن تؤخذ بجدية.

ثالثاً: تصحيح المسار:

بعد هذا ليس من الصعب أن نحدد بدقة ما هو ضرورى لتصحيح المسار السئ لهذه الأمور مثل:

١- أن نفهم جيداً ونسير على قواعد التربية المسيحية

السليمة وأن نسلك بحسب هذه القواعد بداية من المنزل: فالتربية في المنزل هى الجذور والأساس لكل شئ يأتى بعد ذلك، فالشخص الذى تربى جيداً وتم توجيهه فى المنزل سوف لا يترك بسهولة الطريق السليم بسبب تعليم خاطئ فى المدرسة.

٢- يأتى بعد ذلك مباشرة أن نبنى على قواعد جديدة ومتينة التعليم المدرسى: فيجب أن نطعمه بالتعاليم المسيحية، وأن نصحح ما يحتاج للتصحيح، والشئ الرئيسى هو أنه ينبغى علينا فى كل وقت أن نجعل تعليم الطفل تحت مظلة الحياة الكنسية المقدسة التى تعمل على إنقاذ الروح ونموها، كل هذا سوف لا يعطى أولوية للمؤثرات الخاطئة أن تؤثر عليه وسوف يضعف روح العالم وسوف يبعد الروح عن الشيطان وبقية الأصنام،

وفى نفس الوقت يجب علينا أن نوجـه كل شئ أرضى إلى الأبدية ونحوله من الحياة الخارجية إلى الحياة الداخلية وأن نربى الأطفال فى الكنيسة ونعدهم ليكونوا أعضاء فى ملكوت السموات.

٣- والأهم من كل شئ أن نعلم التلاميذ تحت إشراف هؤلاء الذين يعرفون أساليب التعليم السليم، ليس نظريا بل عملياً، ليتم تشكيلهم تحت إشراف المعلمين الذين لديهم خبرة كافية والذين سوف يسلمون الراية لمن بعدهم وهكذا.

إن المعلم (الخادم) ينبغى أن يسلك كل درجات الكمال المسيحى لكى يعرف فيما بعد كيف يتصرف فى الحال وتكون له القدرة على أن يعرف أى طريق هذا الذى يسلكه التلاميذ ثم يتصرف معهم بصبر ونجاح ويأتى بثمر، ينبغى أن يتم هذا من خلال أشخاص

أنقياء ومختارين من الله ومقدسين، فمن ضمن الأعمال المقدسة تأتى تربية وتعليم الأطفال على رأس هذه الأعمال قداسة.

رابعاً: ثمرة التقوى:

إن ثمرة التربية السليمة هى المحافظة على نعمة المعمودية المقدسة فهذه النعمة والمحافظة عليها يبعد عن الإنسان كل إنحراف يحيطه به فى حياته، ومن المزايا الخاصة التى ينالها الشخص الذى حفظ نعمة المعمودية ونذر نفسه منذ سنى حياته الأولى ليحيا مع الله ما يأتى:-

١- **الكمال** : هو الميزة أو الفائدة الأولى التى تعتبر الأساس لبقية المزايا، وهو الكمال فى كل شئ معطى لنا من الطبيعة ومن النعمة، فالمفروض أن

. يكون الشخص المسيحى وعاء يحتوى على القوى والقدرات الغير عادية (الفوقانية) التي هى في إنتظار لأن تصب داخله من منبع كل شئ حسن، فقط لو إستعد هذا الشخص وهيأ نفسه لإستقبال هذه النعم. والشخص الذى يتوب - حقيقة أنه يشفى بالكامل - إلا أنه لا يكون فى معرفته وشعوره كمن لم يسقط، بل يستطيع أن يقتنى الكمال أو يقتنى الجرأة التى تصاحب حب الكمال.

٢- **خفة الروح** : من هذا طبيعى أن تنتج خفة الروح وفعل الخير بصفة دائمة، فالشخص يسير فى طريق الخير كما لو كان يسير فى العالم الوحيد المتاح له. فالشخص الذى يتوب عليه أن يرغم نفسه لوقت طويل على أن يفعل الصلاح ويدرب نفسه عليه إلى أن يقوم به بعد ذلك دون عناء وحتى

بعـد مـا يـصل إلي هذا المسـتـوى ينبـغى عليـه أن يحفظ نفسه دائماً فى حالة إستعداد وخوف. ومن ناحية أخرى فإن الإنسان الذى لم يسقط يحيا فى بساطة القلب فى شئ من الثقة فى الخلاص الذى يحيا فى بركته.

٣- **الإتزان** : ثم يكتسب الإنسان فى حياته هذه نوعاً خاصاً من الإتزان وعدم الإضطراب، فلا يكون هناك أى تأثيرات حادة عنيفة ولا ضعف وفتور فيه. وكما تسير عملية التنفس فينا هكذا يسير فعل الخير بنفس الطريقة السهلة والثابتة، ويمكن أن يحدث هذا أيضاً بالنسبة للشخص التائب ولكن ليس من السهل إكتسابه بنفس السرعة ولا يصل إلى هذا الكمال، فالماكينة التى يتم إصلاحها بإستمرار تعرف عيوبها والساعة التى تم إصلاحها

لن تكون كفاءتها مثل تلك الساعه الجديدة التى لا تحتاج لإصلاح.

٤- **السعادة** : الشخص الذى لم يسقط يكون دائماً شاباً سعيداً فتنعكس علي شخصيته ومزاجه أحاسيس الطفل الذى لم يذنب بعد أمام أبيه، ويكون هنا أول إحساس بالبراءة هو الطفولة فى المسيح أو الجهل بالشر، وكم هو مفيد هذا الإحساس فى إبعاد الأفكار الضارة والبعد عن إشتعال القلب بالعالم.

بعدها تكون هناك متعة فائقة ومودة خالصة وثبات فى القلب والعقل. وفى كل قدرة لديه تكون هناك ثمار الروح التى قال عنها بولس الرسول "محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" غلاطية ٥:٢٢ – ٢٣. إنه يكون كمن "لبس أحشاء

رأفات ولطفا وتواضعاً ووداعة وطول أناة" كو ٣:١٢.
ثم يجد الإنسان داخله فرحاً داخلياً غير مرئى أو فرحاً روحياً لأن بداخله ملكوت الله الذى هو سلام وفرح فى الروح القدس.

ثم هو شخص يتميز بالقدرة على رؤية الأشياء الغير منظورة وبالحكمة التي تميز كل شئ داخله وحوله والتى تستطيع أن تعمل حسناً فى كل الأمور. وقلبه يكون له تلك البصيرة التى ترشده فى الحال لما يجب فعله وكيفية فعله أيضاً.

وفى النهاية نستطيع أن نقول أن من صفاته المميزه أنه لا يخشى السقوط لأنه لديه الشعور بالأمان فى الله "من سيفصلنا عن محبة المسيح" رو٨:٣٥. كل هذا مما يجعله مملوءً بالثقة والمحبة فهو بدون إرادة منه يجذب الناس إليه، ووجود مثل هذا الشخص فى العالم

لهو نعمة عظيمة من الله، إنهم يأخذون مكان الصفوة من الرسل.

وكما تنجذب القطع الكثيرة من الحديد إلى المغناطيس القوى وهكذا تجذب الشخصية القوية -وبخاصة هؤلاء الذين لديهم الشعلة الأولى للروح - الشخصيات الأخرى الضعيفة إليها كل شخص .

٥- **عدم التقلقل** : لكن الصفة الرئيسية للكمال الروحى والتى يكتسبها الشخص الذى حفظ نفسه فى سنوات شبابه هى صفة عدم التقلقل والثبات فى الفضيلة التى تلازمه طوال حياته، فقد كان صموئيل ثابتاً رغم وجود كثير من الغواية فى بيت عالى، ولدى أغلبية الناس فى مجتمعه، وكذلك يوسف فى وسط إخوته الأشرار وفي منزل فوطيفار وفى السجن وفى المجد أيضاً قد حفظ نفسه من الشر فى كل الأحوال.

وفي الحقيقة "جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه" مراثى أرميا ٣ : ٢٧ - "يا إبنى إتخذ التأديب منذ شبابك فتجد الحكمة إلى مشيبك. مثل الحارس والزارع اقبل اليها وانتظر ثمارها الصالحة" ابن سيراخ ٦:١٨-١٩

فالنظرة العامة تتجه - كما وجدت أولاً - نحو المسار الطبيعى ولو حدث فى وقت ما إنها إنحرفت قليلاً فإنها سرعان ما تعود لأصلها.

فنحن نجد فى حياة القديسين أنهم دائماً ما يحافظون على نقاوة الروح وعلي نعمة المعمودية خلال شبابهم.

٦- التكريس للمسيح إلهنا:

فوق كل هذا فإن الإنسان الذى حافظ على نقاوته

وكرس نفسه لله منذ سنى حياته الأولى يكون قد فعل أكثر ما يسر الله، إنه يقدم لله الذبيحة التى تسر الله أكثر من أى شئ آخر لأن الله يسر - أكثر من أى شئ آخر- بالبكور أى الثمار الأولى، البكر فى الإنسان والحيوان وأيضاً بالنسبة للسنين الأولى لمرحلة الشباب.

فالشباب الطاهر بلا دنس هو ذبيحة نقية، وهذا هو المطلوب فى كل ذبيحة تقدم، وهذا يتطلب التغلب تماماً على عقبات قليلة فى داخلنا وخارجنا بالإبتعاد عن الملذات التى تنحرف بنا عن الطريق وخاصة فى هذا السن.

يجب أن يكرس الإنسان نفسه لله لأنه فى هذا فقط يكون خلاصه- فليس هناك أفضل ولا وقت أنسب من بداية يقظة حواسنا وإدراكنا - لأنه من يعلم ماذا سيكون فى الغد؟ ولكن لو أراد شخص أن يعيش

حياة أطول بدون أن يكرس ذلك الوقت لله، فإنه سوف يجعل الأمر صعباً بالنسبة إليه، وسوف يتعود على نمط من الحياة مخالف لطريق الله. والله وحده يعلم هل سوف يستطيع أن يروض نفسه فى المستقبل أم لا؟

وحتى لو إستطاع أن يروض نفسه فيما بعد فما هى التضحية التى قدمها لله؟ إنها تقدمة مريضة وجريحة أليس هذا كل ما فى الأمر؟ وحتى مع هذا فإنه نادراً جداً ما يحدث. ما أصعب أن يسترد الإنسان فيما بعد طهارته التى فقدها من قبل، وما أصعب أن يتحول الإنسان الذى لم يعرف الحياة الصالحة فى طفولته إلى حياة التكريس. ويخبرنا القديس أوغسطينوس - من خلال خبرته الخاصة - فى إعترافاته، فيقول: (لقد قضيت سنين الطفولة فى اللعب واللهو حتي ذلك اللهو الذى لم يسمح لى به والدى وأنا فى عدم طاعة وقلة

إهتمام، وعندما دخلت فى مرحلة الشباب بدأت أحيا حياة مزاجية وفى خلال ثلاث سنين أصبحت مضطرباً جداً حتى أنه خلال إثنى عشر عاما بعدها حاولت فيها إصلاح نفسى ولم أجد القدرة على ذلك).

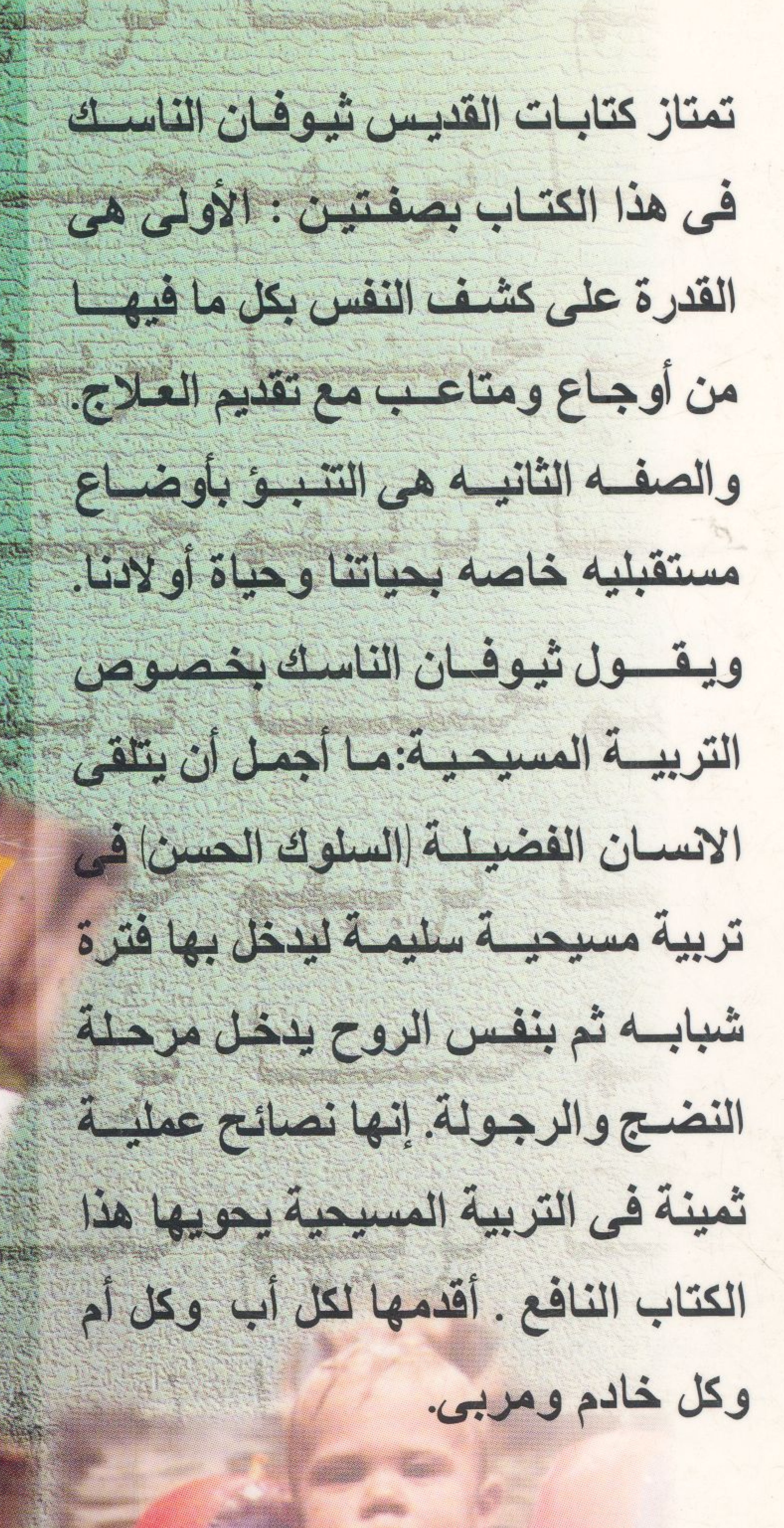
(.. وحتى بعد ذلك حينما قررت بصفة قاطعة أن أمحو إرادتى فقد عانيت بعدها لمدة عامين لكى أتحول للصلاح يوماً بعد يوم. ما أضعف الإرادة أمام الرغبات الأولى. ولكن حتى بعد التحول القاطع وبعد حلول النعمة خلال المعمودية المقدسة فقد كان علىّ أن أحارب رغباتى التى إنتزعتنى من الطريق الذى كنت سائراً فيه من قبل).

ومن الملاحظ أن هناك القليل جداً هم الذين خلصوا من بين الذين قضوا فترة شبابهم فى الخطية، مثل القديس أوغسطينوس، الذى يعطينا فكرة واضحة

أكثر من أى شئ آخر عن الخطر العظيم الذى يتعرض له الشخص الذى لم يتبع قواعد الفضيلة فى شبابه ولم يكرس نفسه من قبل لله..

ما أجمل أن يتلقى الإنسان الفضيلة في تربية مسيحية سليمة ليدخل بها فترة شبابه ثم - بنفس الروح - يدخل مرحلة النضج والرجولة.

السعر : جنيهان ونصف



تمتاز كتابات القديس ثيوفان الناسك فى هذا الكتاب بصفتين : الأولى هى القدرة على كشف النفس بكل ما فيها من أوجاع ومتاعب مع تقديم العلاج. والصفه الثانيه هى التنبؤ بأوضاع مستقبليه خاصه بحياتنا وحياة أولادنا. ويقول ثيوفان الناسك بخصوص التربية المسيحية: ما أجمل أن يتلقى الانسان الفضيلة (السلوك الحسن) فى تربية مسيحية سليمة ليدخل بها فترة شبابه ثم بنفس الروح يدخل مرحلة النضج والرجولة. إنها نصائح عملية ثمينة فى التربية المسيحية يحويها هذا الكتاب النافع . أقدمها لكل أب وكل أم وكل خادم ومربى.

القمص أشعياء ميخائيل